3 me Année, No. 103.

Lundi-24-6-1935

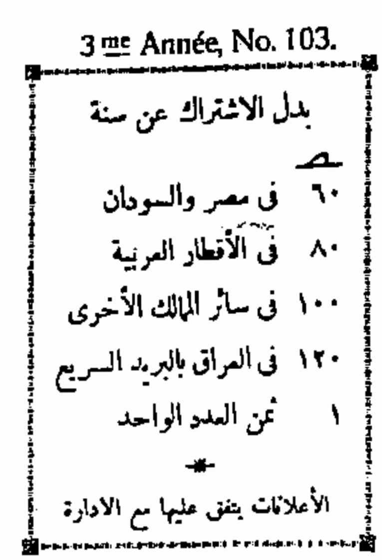
# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

| م | |
|---|---|
| ٦٠ | فى مصر والسودان |
| ٨٠ | فى الأقطار العربية |
| ١٠٠ | فى سائر الممالك الأخرى |
| ١٢٠ | فى العراق بالبريد السريع |
| ١ | ثمن العدد الواحد |

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ١٠٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٥٤ — ٢٤ يونيو سنة ١٩٣٥ » السـنة الثالثة


فهرس العـــدد


| صفحة | | |
|---|---|---|
| ١٠٠١ | مثل من الشباب الصالح | : أحمد حسن الزيات |
| ١٠٠٣ | الطائشـــة | : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى |
| ١٠٠٧ | كيمياء الأفكار والعواطف | : الأستاذ أحمد أمين |
| ١٠٠٩ | النهضة التركية الأخيرة | : الدكتور عبد الوهاب عزام |
| ١٠١١ | شمس الدين السخاوى | : الأستاذ محمد عبد الله عنان |
| ١٠١٤ | مكتبتى | : الأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازنى |
| ١٠١٦ | ساعة فى البقيع | : الأستاذ على الطنطاوى |
| ١٠١٨ | القاضى النسوى | : الأستاذ قدرى حافظ طوقان |
| ١٠١٩ | عرائس المولد النبوى | : الأستاذ م . هداية |
| ١٠٢١ | قصة الـكروب | : الدكتور أحمد زكى |
| ١٠٢٤ | محاورات أفلاطون | : الأستاذ زكى نجيب محمود |
| ١٠٢٦ | أبو العباس أحمد المقرى | : عبد الهادى العرابى |
| ١٠٢٨ | أجد وأمزح ( قصيدة ) | : الأستاذ جميل صدقى الزهاوى |
| ١٠٢٩ | تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا | : الأستاذ خليل هنداوى |
| ١٠٣١ | مجازفات هرقل ( قصة ) | : الأستاذ دريني خشبة |
| ١٠٣٤ | قصة زوجة صبور | : اليوزباشى أحمد الطاهر |
| ١٠٣٧ | كتاب فى تاريخ الاسلام « فرسان الله » . الأستاذ محمد عبد الله عنان . عيد الأكاديمية الفرنسية | |
| ١٠٣٨ | ذكرى شومان أستاذ النقد الموسيقى . تخليد ذكرى شاعرة فرنسية | |
| ١٠٣٩ | وفاة فكتور هوجو — صورة خبرية واقعية | |


بين والد وولده

# مثل من الشباب الصالح

عرفت منذ أيام فتى غَريض الشباب رقيق الإهاب وضىء الطلعة ؛ يتكلم فيشع عقله فى معانيه ، ويشيع ذكاؤه فى مراميه ، ويسيل شعوره على ألفاظه ؛ وهو لا يتكلم إلا عن العمل ، ولا يناقش إلا فى الواقع ، ولا يرمى إلا إلى غرض ؛ طموح النفس فلا يحصر أفقَه يأس ، ولا يحدّ غايته مطلب ؛ بعيد الهمة فلا يُضله شارد الخيال ، ولا يغره خادع الأمل ؛ رفيع الهوى فلا يشوب غرضه سوء ، ولا يفسد طموحه أثرة . نبت فى أكرم المنابت من إقليم الغربية ، فأبوه عميد أسرته ، وزعيم بلدته ، وسَرِىّ نابه من سَراة إقليمه ؛ رباه فى مهد النعيم ، ونشّأه فى ظلال الغنى ، وقلّبه فى أحضان الترف ، فكان خايقاً أن يمسه الغباء وهو داء الغنى ، وأن يصيبه الخمول وهو بلية الترف ، ولكنه لقوة الطبع واستعداد الفطرة شب ذكى الفؤاد إلى درجة الحكمة ، مشبوب العزم إلى حد المغامرة ؛ يذهب بنفسه غالباً إلى الاعتداد الواثق ، ويميل بحيائه أحياناً إلى الجرأة المؤدبة ، وينظر إلى غاية الحياة

— وهو لا يزال فى بدايتها — نظر الكيّس اللبيب المجرب ، فيهاجم السياسيين من ناحية استخفافهم بالخلق ، والموظفين من جهة استهانتهم بالواجب ، والفلاحين من حيث اعتمادهم فى الإنتاج على القديم الرث ، وفى الملاح على القدَر والمصادفة . على أنه أمام أبيه — وهو قرة عينه — مثال البر ورمز الطاعة ، فلا يفند له رأياً ، ولا يعصى له أمراً ، ولا يخالف له نصيحة

تخرج منذ أسبوع فى إحدى المدارس العالية ، وكان الثانى فى ترتيب الناجحين ، وإن شئت فقل الأول ، لأن الفرق بينه وبين سابقه لايقدم لضآلته ولا يؤخر ، فالوظيفة بحكم أوليته فى النجاح ومونة أسرته بالنفوذ ، تنتظره فى كل مكان وتطلبه فى كل وزارة ، ولكنه زارنى منذ يومين فوجدته على غير عادته مشغول القلب منقبض الصدر مشترك الخاطر ، لا أثر عليه لنشوة الفوز ، ولا للذة الراحة ، ولا لفرحة المنصب ، كأنما هو آخر الدبلوم أو فقير متقدم من غير وسيلة ! !

— مالك ساهمَ الوجه ، مكروب النفس يا فهمى ؟ هنيئاً لك الدبلوم والأولية ! فقال والأسى يبين فى صوته ولهجته : ليتنى لم أنل هذه الدبلوم ، ولم أحز خطر هذا السبق ؛ فلقد كان فى لذة المدارسة ، وشهوة المنافسة ، وترقب النجاح ، وانتظار الحرية ، رضًى لنفسى الطامحة ، وكفاية لقلبى الرغيب . أما الآن فالفراغ يثقل حتى يقتل نفسى ، والوقت يطول حتى يمل روحى ، والأمل يضيق حتى يُظلم حياتى ! أريد أن أعمل فيمنعنى أبى ، لأنه يضن بصحتى على مخاطر الفلاحة ، وبراحتى على متاعب الفلاحين ، وبسعادتى على هموم المسئولية

— إذن ماذا يريد لك أبوك ؟

— يريد لى الوظيفة ! والوظيفة سجن لنفسى الطليقة ، وتعطيل للمكاتى الموهوبة ، ومحو لمعارف المكسوبة ، وقتل لآمالى الناشئة ، وتوجيه لميولى الطبيعية إلى الغرض الذى لا أحب والقصد الذى لا أريد

إن فى مزارعنا الواسعة مجالاً فسيحاً لنشاطى ، ومَرَاداً بعيداً لعلمى ، ومختبراً صالحاً لتجاربى ، ومغرساً كريماً لآمالى ، فأنا أوثر أن أحمل عبء العمل عن والدى ، وأستغل علمى وعملى فى تحقيق مقاصدى ، فأحافظ بالاستقلال الذاتى على خلقى وحريتى ، وأساهم بالعمل المنتج فى نفع أمتى وإسعاد أسرتى

ماذا تجدى علىّ الوظيفة ؟ عشرة جنيهات فى الشهر ؟ لقد كان أبى ينفق علىّ خمسة وعشرين وأنا طالب ، فكم جنيهاً ينفقها علىّ وأنا موظف ؟ إذن سينفق علىّ أضعاف مرتبى لأخدم غيره ، وأفارق بيته ، وأظل السنين الطوال موظفاً وضيع المكانة ، مسلوب الإرادة ، محدود الرزق ، خامل الحياة !

إن شهادتى فى فن الزراعة ؛ والوظيفة الفنية كالوظيفة العلمية لا تصلح طريقاً إلى السلطان ، ولا وسيلة للجاه ، ولا أداة للثروة ؛ إنما الفن مجده فى استقلاله ، وخيره فى حريته . على أن وظائف الحكومة — بعد أن خفضوا أجرها ، وأخَسّوا قدرها ، وحفوا طريقها بالمكاره ، وهددوا معاشها بالنقص ، وزعزعوا ضمانها بالكيد ، وروعوا أمنها بالسياسة — أصبحت مطلباً لقصار الآمال ، ومذهباً لصغار النفوس ، وملجأ لضعاف الحيلة . فأما الذى يجد فى نفسه شعور القدرة ، وفى بيته رأس المال ، وفى أرضه مكان العمل ، ثم يتشوف إلى قيد الوظيفة وذل التبعية ، فلا أدرى بم أعتذر له أمام النُّبل والرجولة ؟

فقلت له وأنا موزع النفس بين الاعجاب به والرثاء له والحدَب عليه : كلامك هذا يا بنى عنوان عقلك وبرهان فضلك ودليل دعواك . وليت شعرى ما حجة أبيك الكريم أمام هذا الخلق العظيم والمنطق الواضح ! لعله من أولئك الذين يعتقدون أن الولد إذا دخل المدرسة ، ثم خرج بالشهادة ، ثم لم يوظف ، كان ما أنفقه خسارة لا تعوض ، وما تعلّمه عبثاً لا يفيد !

فقال : كلا ! إن أبى من أرجح الناس عقلاً ، وأسدهم رأياً ، وأعلمهم بمزايا العمل الحر ، ولكنها التقاليد الموروثة ، والعواطف الغالبة ، وسأنتهى آخر الأمر على رغم هواىَ ومناىَ إلى رأيه . فقلت له إذن دعنى على الأقل أنقل عنك هذا الحديث ليكون خطاباً إلى أبيك ، ودرساً لإخوانك ، وموضوعاً للرسالة !

احمد حسن الزيات

# الطائشة

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

### تتمة

وهذا مُحَصَّلُ رواية «الطائشة» نقلناه من خط الكاتب على مَساقِ مادوَّنه في أوراقه، وعلى سَرْدِهِ الذي قصَّ به الخبر. وقد أعطانا من البرهان ما نطمئنُّ اليه أن هذه «الطائشة» هي من تأليف الحياة لا من تأليفه، وأنه لم يخترع منها حادثة، ولم يأتفك حديثاً، ولم يَزِدْها بفضيلة، ولم يَنقُصْها بمَعَرَّة؛ وأشهدَ على قوله كُتُبَ صاحبته الأديبة المُستهترة التي لاتبالي ماقالت ولا ما قيل فيها. وهذه الكتبُ رسائلُ منها المُوجَزُ ومنها المستفيضُ، وهي بجملتها تنزلُ من الرواية منزلةَ الشروح المُفَنَّنة، وتنزلُ الروايةُ منها منزلةَ المتن المقتضبة؛ وكل ذلك يُشبه بعضُه بعضاً، فكلٌّ ذلك بعضُه شاهدٌ على بعض

قال كاتب (الطائشة):

كنتُ رجلاً غَزِلاً ولم أكن فاسقاً، ولستُ كهؤلاء الشبّان الذين أُصيبوا في إيمانهم بالله فأُصيبوا في إيمانهم بكل فضيلة، وذهبوا يُحقِّقون الدنيَّةَ فحقَّقوا كلَّ شيء إلا الدنية

ترى أحدَهم شريفاً يأنَفُ أن يكون لصّاً وأن يسمى لصّاً، ثم لا يعملُ إلا عملَ اللص في استلاب العفاف وسرقةِ الفتيات من تاريخهن. وتراه نَجْداً يستنكِفُ أن يكون في أوصاف قاطع الطريق، ثم لا يأبى إلا أن يقطعَ الطريقَ في حياة العَذارى وشرف النساء

أكثرُ أولئك الشبان المتعلمين يَمرضون للفتيات المتعلمات بوجوه مصقولةٍ تحتملُ شيئين: الحب والصَّفع . . . ولكن أكثر هؤلاء المتعلمات يضمَنَّ القُبلة في مكان الصفعة، إذ كان العلمُ قد حلَّلَ الغريزةَ التي فيهن فعادت بقايا لا تَستمسِك، وبصَّرهنَّ بأشياءَ تزيد قوةَ الحياة فيهن خطراً وتُوحي اليهنَّ وحياً من حيث يشعُرْنَ ولا يشعرن، وصوَّر في أوهامهنَّ صُوَراً محَتْ الصُّوَرَ التي كانت في عقائدهن، وأخرجهنَّ من السَّلْب الطبيعي الذي حماهنَّ الله به؛ فلهنَّ العفةُ والحياءُ ولكن ليس لهن ذلك العقلُ الغَريزيُّ الذي يجيء من الحياء والعفة؛ وكثيراتٌ منهن يخشَيْن العارَ ومَعَرَّتَهُ الاجتماعيّة ولكن خَشيةَ فُقهاءِ الحِيَلِ الشرعية قد أرْصَدوا لكل وجهٍ من التحريم وجهاً من التحليل، فأصبح امتناعُ الإثم هو ألا تكونَ اليه حاجة . . . .

والعقلُ الذي به التفكيرُ يكون أحياناً غيرَ العقل الذي به العمل؛ ففي بعض الجاهلات يكونُ عقلُ الحياء والعفة والشرف والدين — غريزةً كغرائز الوحش، هي الفكرة وهي العملُ جميعاً، وهي أبداً الفكرةُ والعملُ جميعاً لا تتغير ولا تتبدَّل ولا يقع فيها التنقيحُ الشمريُّ ولا الفلسفي . . . . وما غريزةُ الوحش إلا إيمانُه بمن خلقه وحشاً؛ وكذلك غريزة الشرف في الأنثى هي عندي حقيقةُ إيمانها بمن خلقها أنثى

وشرفُ المرأة رأسُ مالِ للمرأة، ومن ذلك كان له في أوهام العلم اشتراكيةٌ بحسَبِه تنظر فيه نظرَها وتَرِيغُ زَيغَها وتقضي حكمها، وأكثر من عرفتُ من المتعلمين والمتعلمات قد انتهوا بطبيعتهم العلميةِ الى الرضى بهذه الاشتراكية، والى التسامح في كثير، والى وضع الاعتذار فيما لا يقبلُ عُذراً، ومن ها هنا كان بعضُ الجاهلات كالحِصنِ المُغلَقِ في قمّة الجبل الوَعْر، وكان بعض المتعلمات دون الحِصن، ودون القمّة، ودون الجبل، حتى تنزلَ الى السهل فتراهنّ ثَمّه

لقد غفلَت الحكوماتُ عن معنى الدين وحقيقته، فلو عرفت لعرفتْ أن الانسانيةَ لا تقوم إلا بالدين والعلم كليهما؛ فان في الرجل إنساناً عاماً ونوعاً خاصّاً مذكراً، وفي المرأة إنسانٌ عامٌ كذلك ونوعٌ خاصٌ مؤنث. والدين وحده هو الذي يُصلح النوع بتحقيق الفضيلة وتقرير الثابة الأخلاقية، وهو الذي يُحاجزُ بين الغريزتين، وهو الذي يضع القوة الروحية في طبيعة المتعلم؛ فان كانت طبيعةُ التعليم قويةً كانت الروحية زيادة في القوة، وإن كانت ضعيفةً كما هي الحالُ في هذه المدنيّة لم تجمع على التعلم ضعفين يَتخلّى كلاهما الآخر ويزيده

***

فلانٌ وفلانٌ تعلَّقا فتاتين جاهلةً ومتعلمة؛ وكلتاهما قد صدّت صاحبَها وامتنعت منه؛ فأما الجاهلةُ فيقول (فلانٌها) إنها كالوحش وإن صُدودَها ليس صدوداً حَسْبُ، بل هو

ثورةٌ من فضيلتها وإعانها ، فيها الدمى الحربيُّ مجاهداً مُتحفّزاً للقتل . . . .

وأما المتعلمةُ فيقول ( فلانٌ ) إنها ككل امرأة وإن صدودها ثورةٌ ولكن من دلالها تُرضى بها أولَ ما تُرضى وآخرَ ما تُرضى كبرياءَ الجمال فيها لا الإيمانَ ولا الفضيلة . فكأنها إيحاءٌ للطامع أن يزيدَ طمعاً أو يزيد احتيالاً

وفلانٌ هذا يقول لى : إن ضُعَفاءَ الإيمان من الشبان المتعلمين — وأكثرهم ضعفاءُ الإيمان — لو حقّقتَ أمرهم وَبلَوْتَ سرائرَهم ، لتبيّنتَ أنهم جميعاً لا يرون قلبَ الفتاة المتعلمة إلا كالدار الخالية كُتب عليها : ( للإيجار ) . .

* * *

يقول كاتب « الطائشة » :

أما أنا فقد صحّ عندى أن سياسة أكثر المتعلمات هى سياسةُ فتح العين حذَراً من الشبان جميعاً ؛ وإغماضِ العين لواحد فقط . . . .

وهذا الواحدُ هو البلاءُ كلُّه على الفتاة فانها بطبيعتها تتقيّد ولا تنفصل إلا مُكْرَهَة ، وهو بطبيعته قيدُه لذته فيتصل وينفصل . غير أنها لابد لها من هذا الواحد ، ففكرها المتعلم يُوحى إليها بالحياة لا يجعلُ فى ذلك موضعاً للتّفكير عندها ، والحياةُ نصفُ معانيها النفسية فى الصديق ؛ فالأنوثةُ بغيره مظلمةٌ فى حياتها راكدةٌ فى طباعها ثقيلةٌ على نفسها ما دام « الشعاع » لا يلمسها . .

والدينُ يأبى أن يكون ذلك الصديقُ إلا الزوجَ فى شروطه وعهوده كيلا تتقيدَ المرأةُ إلا بمن يتقيدُ بها ، والعلم لا يأبى أن يكون الصديقُ هو الحب ؛ والفنُّ يوجب أن يكون هو الحب ، وليس فى الحب شروطٌ ولا عهود إلا وسائلَ تُختَلَقُ لوقتها وأكثرها من الكذبِ والنفاق والخديعة . ولفظُ الحب نفسُه لصٌ لُغَوىٌّ خبيثٌ يَسرقُ المعانى التى ليست له ويُنفِقُ ما يسرق . وليس من امرأةٍ يختدعُها عاشقٌ إلا انكشف لها حبه كما ينكشف اللص

* * *

يقول كاتب « الطائشة » :

تلك فلسفةٌ لا بد منها فى التوطئةِ للكتابة عن ( عزيزتى رغم أنفى ) . ومَن كانت مثلها فى أفكارها واستدلالها وحُجَجها وطريقتها — كان خليقاً بمن يكتب قصتها أن يجمل القصة من أولها مُسلّحة . .

لقد تكارَهتُ على بعض ما أرادت منى ما دام الحبُّ ( رغم أنفى ) ، وما دامت السياسةُ أن أداريَها وأتّبعَ عبثَها ؛ غير أنى صارحتُها بكلمةٍ شمسيةٍ تلمع تحت الشمس ؛ أنها الصداقةُ لا الحبُّ ، وأنما هو اللهوُ البرىء لا غيرُه ، وأن ذلك جهدُ ما أنا قوىٌّ عليه وَفىٌّ به . قالت : فليكن ، ولكن صداقةٌ أعلى قليلاً من الصداقة . . . ولو من هذا الحب التكبر الذى لا يَصدُق كيلا يكذب . . . إن هذا النوعَ من الحب يطيش بعقل المرأة ولكنه هو أول ما يَستهيمُها ويُعجبُها ويورثها التياعَ الحنين

* * *

كتبت لى : أنا لا أتألم فى هواك بالألم ، ولكن بأشياءَ منك أقلها الألم ، ولا أحزنُ بالحزن ، ولكن بهموم بعضها الحزن إنك صنعتَ لى بكاءً ودموعاً وتنهدات ، وجعلت لى ظلاماً منك ونوراً منك ، يا نهارى وليلى . تُرى ما اسمُ هذا النوع من الصداقة ؟

اسمه الحب ؟ لا

اسمه الكبرياء ؟ لا

اسمه الحنان ؟ لا

اسمه حُبك أنت ، أنت أيها الغامضُ المتقلب . ألا ترى ألفاظى تبكى ، ألا تسمعُ قلبى يصرخ ، بأىِّ عدلِك أو بأىِّ عدلِ الناسُ تريد أن أحيا فى عالم شمسُه باردة . . . . هذا قتل ، هذا قتل

فكتبتُ اليها : إن لم يكن هذا جنوناً إنه لقريبٌ منه فردتْ على هذه الرسالة :

أتكاتبنى بأسلوب التلغراف . . . . لو أهديتَ الى عِقداً من الزمرد حبّاته بعدد هذه الكلمات لكنت بخيلاً ، فكيف وهى ألفاظ ؟ إنى لأبكى فى غَمْضَةٍ واحدة بدموعٍ أكثر عدداً من كلماتك ، وهى دموعٌ من آلامى وأحزانى ؛ وتلك ألفاظٌ من لهوك وعَبَثك

ما كان ضرَّك لو كتبتَ لى بضعة أسطر من تلغرافات

روتو ... مادمت تَسْخَرُ مني ؟ أأنت الشبابُ وأنا الكهولة ، فليس لك بالطبيعة إلا الانصرافُ عنى ، وليس لى بالطبيعة إلا الحنين إليك ؟

* * *

لا أدرى كيف أحببتها ولا كيف دَعَتني إليها نفسى ، ولكن الذى أعلمه أنى تخادعتُ لها وقلتُ إن المستحيل هو منعُ هذا الشر ، والممكن هو تخفيفه ؛ ثم أقبلتُ أرْنى لها ، وأخففُ عنها ، وأقبلتْ هى تضاعفُ لى مكرها وخديعتَها ، وكان الأمر بيننا كما قالت : فى الحب والحرب لا يكون الهجومُ هجوماً وفيه رفقٌ أو تراجُع

إن المرأة وحدها هى التى تعرف كيف تُقاتلُ بالصبر والأناة ؛ ولا يُشبهُها فى ذلك إلا دُهاةُ المستبدّين

* * *

سألتنى أن أهدىَ إليها رسمى ؛ فاعتللتُ عليها بأنْ قلت لها : إن هذا الرسم سيكون تحت عينيك أنت رسم حبيب ، ولكنه تحت الأعين الأخرى سيكون رسم مُتهَم

وظننتُنى أبلغتُ فى الحجة وقطعتُها عنى ؛ فجاءتنى من الغد بالرد المفحم ، جاءتنى بإحدى صديقاتها لتظهرَ فى الرسم الى جانبى كأننى من ذوى قرابتها . . . . فيكون الرسم رسم صديقتها ، ويكون مهدًى منها لأمى ، وكأنى فيه حاشيةٌ جاءت من عمة أو خالة . . . .

وأصررتُ على الاباء ، ونافرتنى القول فى ذلك ، تردُّ علىَّ وأرد عليها ، وتغاضبنا وانكسرت حزناً وذهبتْ باكية ؛ ثم تسبّبتْ الى رضاى فرضيت

* * *

حدثتنى أن صديقتها فلانة استطاعت أن تستزيرَ صاحبها فلاناً فى مخدعها فى دارها بين أهلها منتصف الليل . قلتُ وكيف كان ذلك ؟

قالت إنها تحمل شهادة . . . . وهى تلتمس عملاً وقد طال عليها ؛ فزعمتْ لذويها أنها عثرت فى كتاب كذا على رُقيةٍ من رُقَى السحر ، فتريد أن تتعاطى تجربتها بعد نصف الليل إذا محق القمر ؛ وأنها ستُطلِق البخورَ وتبقى تحت ضبابته إلى الفجر تُهمْهِمُ بالأسماء والكلمات

ثم إنها اتّعدَتْ وصاحبها ليوم وأجافتْ بابَ دارها ولم تُغلقه ، وأطلقت البخور فى مِجمرٍ كبير أثار عاصفةً من الدخان المعطّر وجعل مخدعها كمخدع عَروسٍ من ملكات التاريخ القديم . وبقى صاحبُها تحت الضبابة يُهمهِمُ ويُهمهِم .. ثم خرج فى أغباش السَّحَر

هكذا قالت ؛ وما أدرى أهو خبر عن تلك الصديقة وفلانها أم هو اقتراحٌ علىَّ أنا من « فلانة » لأكون لها عفريت الضبابة . . . ؟

* * *

لم يخفَ عليها أن لَذْعَةَ حبها وقعت فى قلبى ، وأن صبرها قد غلب كبريائى ، وأن كثرة التلاقى بين رجل وامرأة يطمعُ أحدهما فى الآخر – لابد أن ينقل روايتهما إلى فصلها الثانى ، ويجعل فى التأليف شيئاً منتظراً بطبيعة السّياق . . . . والحاحُ امرأة على رجل قد خلّبها وجَفَا عن صِلَتِها ، إنما هو تَعرُّضها للتعقيد الذى فى طبيعته الانسانية . فان هى صابَرَته وأمعنَتْ فقلما يَدَعُها هذا التعقيدُ من حَلّ لمعضلتها . ومثل هذه العجيبة كان تعقيداً وكان غيرمفهوم ولا واضح ؛ وقد ينقلبُ فيه أشدُّ البغض إلى أشد الحب وقد تعمل فيه حالةٌ من حالات النفس مالا يعمل السّحر . وكذلك يقعُ للرجل إذا أحب المرأة فنَبَتْ عن مودّته فَعرَض للتعقيد الذى فى طبيعتها وأمعَنَ وثبت

رأت الجمرة الأولى فى قلبى فاضرمتْ فيه الثانيةَ حين جاءتنى اليومَ بكتاب زعمتْ أن فلاناً أرسله إليها يُطارِحُها الهوى ويَبُثُها ولَهَ الحنين والتياعَ الحب

ويقول لها فى هذا الكتاب : أنا لم أشرب خمراً قط ولكنى لا أرانى أنظر إلى مَفَاتِنِك ومحاسنك إلا وفى عينيَّ الخمر ، وفى عقلى السُّكر ، وفى قلبى العَربَدة . جعلتِ لى نظرَة سِكيرٍ فيها نسيانُ الدنيا وما فى الدنيا ما عدا الزجاجة . . .

ويختمه بهذه العبارة :

آه لو استطعتُ أن أجعل كلامى فى نفسك ناعماً ، ساحراً ، مُسكراً ، مثلَ كلام الشَّفة للشَّفة حين تُقبِّلها . . .

عند هذا وقع الشيء المنتظَر في الفصل الثاني من الرواية ، وختم هذا الفصلُ بأول قُبلة على شفتي (الممثلة)

***

قالت : هذه القبلة كانت (غلطة مطبعية) ومضت تسميها كذلك واستمرت الطبعة تغلط .... وما علمتُ إلا من بَعْدُ أن ذلك الكتابَ الذي استُوقدَتْ به غيرتي ، إنما كان من عملها ومكرها

***

وجاءتني اليوم بآبدةٍ من أوابدها ، قالت :

أنت رجعيٌّ محافظ على التقاليد . قلتُ لأني أرى هـــذه التقاليد كالصباح الذي يتكرر في كل يوم وهو في كل يوم ضياء ونور

قالت : أوكالمساء الذي يتكرر وهو في كل يوم ظلامٌ وسواد

قلت : ليس هـــذا إليَّ ولا إليك ، بل الحكم فيه للنفع أو الضرر

قالت : بل هو إلى الحياة ، والحياة اليوم علمية أوروبيـــة ، والزمنُ حثيثٌ في تقدمه ، وأصحابُ « التقاليد » جامدون في موضعهم قد فاتهم الزمن ، ولذلك يسمونهم (متأخرين) . أما علمت أن الفضيلة قد أصبحت في أوربا زياً قديماً فأخذ المِقَصُّ يعملُ في تهذيبها ، يقطعُ من هنا ويَشُقُّ من هنا ...

اسمع أيها « المتأخر » وتأمل هذا الرهان الأوربي المصري

أخبرتني صديقتي فلانة حاملة شهادة .... أنها كانت في القطار بين الاسكندرية والقاهرة وكانت معها فتاة من جيرتها تحملُ الشهادة الابتدائية ؛ فجمعهما السفر بشاب وسيم ظريف يُشاركُ في الأدب ، غير أنه رَجْعيٌّ (متأخر) . وصديقتي تعرفُ من كل شيء شيئاً ، وتأخذُ من كل فن بطَرَف ؛ فجرى الحديثُ بينهما مجراه ، وتركت الصديقةُ نفسها لدواعيها وانطلقت على سَجيَّتها الظريفة ، ووضعتْ فنَّ لسانها في الكلام فجاءت فيه روحَ التقبيل

ولم تبلغ إلى القاهرة حتى كانت قد سحرت ذلك (المتأخر) ووقعت من نفسه ودفعته إلى الزمن الذي هو فيه . فلما همَّت بوداعه سألها : أين تذهبان ؟

فأغضت صاحبة الشهادة الابتدائية ، وأطرقت حياء ورأت في السؤال تهمة وريبة ، فأنبتها الصديقةُ وأيقظتها من حيائها ، وقالت لها : ألا تزالين شرقية متأخرة . إن لم يسعدنا الحظ أن تكون لنا حريةُ المرأة الأوربية في المجتمع وفي أنفسنا ؛ أفلا يسعنا أن تكون لنا هذه الحرية ولو في أنفسنا ؟

ثم ردَّت على الشاب فأنبأته بمكانها وعنوانها ، فأطمعه ردُّها فسألها أن تتنزه معه في بعض الحدائق ، فأبت صاحبته الابتدائية ولجت عمايَتها الشرقيةُ المتأخرة ، ورأت في ذلك مَسقطةً لها ، فلوتْ إلى دارها وتركتهما إنساناً وإنساناً لافتىً وفتاة ، وتنزَّها معاً ، وعرف الشابُّ الرجعيُّ الحبَّ والخمرَ التي هي تحيةُ الحب

ولم تستطع الفتاةُ الماكرة أن ترجعَ الى دارها وهي سكرى فأوتْ الى فندق ، وختمت روايتهما باعراض من الشاب أجابت هي عليه بقولها : ألا زلت (متأخراً) ....... ؟

قالت « الطائشة » :

نعم يا عزيزي (للمتأخر) إن مذهب المرأة الحرة .... في الفرق بين الزوج وغير الزوج ، أن الأولَ رجلٌ ثابتٌ ، والآخر رجل طارئٌ . والثابتُ ثابتٌ مهما بحقه هو ؛ والطارئ طارئ عليها بحقها هي .... فان كانت حرة فلها حقها ...

قال كاتب الطائشة : وهنا كاد الشيطان يرفع الستار عن فصل ثالث في هذه الرواية ، رواية (الطائشة) ...

***

تقول نحن : وإلى هنا ينتهي نصف الرواية ؛ أما النصف الآخر فيكاد يكون قصة أخرى اسمها : (الطائش والطائشة) ؟

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

# كيمياء الأفكار والعواطف

للأستاذ أحمد أمين

كان القدماء يفهمون من « الكيمياء » الأكسير المنشود ، الذي إذا عُثر عليه وأضيف الى الزئبق أو الفضة بكمية محدودة ، تحت حرارة معينة ، انقلب الزئبق أو الفضة ذهباً إبريزاً

وليس يعنينا هنا أن نبين ما أنفق الناس من جهد فى الوصول إليه ، ولا ما أنفقوا من مال وزمان فى سبيل العثور عليه ، ولا ما ملئت به كتب الفلسفة الاسلامية من جدل فى امكان ذلك أو استحالته

إنما يعنينا هنا أن نقول إن العلماء والأدباء نقلوا استعمال هذه الكلمة إلى المعانى بعد أن كانت قاصرة على المادة ، فسمى « الغزالى » كتاباً من كتبه « كيمياء السعادة » يعنى بذلك الأكسير الروحى الذى إذا عثر عليه الانسان حظى بالسعادة

وقد استعملها ابن الرومى استعمالاً ظريفاً فى معنى قريب من هذا ، فقال يهجو أبا الصقر

عَجِبَ الناسُ من أبى الصقـر إذولى – بعدالاجارة – الدوانا
إن للجَدِّ كيمياءَ إذا ما مَسَّ كلباً أحاله انسانا
يفعل الله ما يشاءُ كما شا ء متى شاء كائنا ما كانا

* * *

ثم سار الزمن الذى يغير كل شيء ، فغير – فيما غيره – مدلول كلمة «الكيمياء» وجعله قسيما للطبيعة ، فكما أن الطبيعة اختصت بدراسة الظواهر التى تغير صفات الأشياء ولا تغير جوهرها ، اختصت الكيمياء بدراسة الظواهر التى تغير جوهر الأشياء ، فاتسع مدلولها ، وصار آخر ما تفكر فيه تحويل المعادن إلى ذهب إن كانت تفكر فيه

والذى أريد أن ألفت اليه النظر فى مقالى أن هناك كيمياء فى الأفكار والعواطف تشبه تلك التى فى المادة ، إلا أنها أعقد منها ، وأصعب حلاً ، وأغمض اكتشافاً – وإلى الآن لم توضع كتب – على ما أعلم – فى كيمياء المعانى على كثرة ما وضع فى كيمياء المادة – وإن كانت كتب علم النفس أحياناً تمس هذا الموضوع مساً رفيقاً

* * *

فلكيمياء الأفكار والعواطف فصول وأبواب لاعداد لها ، قد ينطبق عليها فى كثير من الأحيان فصول الكيمياء المادية وأبوابها ، ففى كيمياء المعانى ترشيح وتبخير وذوبان كالتى فى كيمياء المادة ، وفيها تبلور وتقطير ، وفيها عناصر ومركبات ومخاليط ، وفيها أحماض وأملاح وقواعد ، وفيها جزيئات وذرات لها أوزان وكثافات – ولها رموز وقوانين أدق من رموز الكيمياء المادية وقوانينها ، ولها معادلات أصعب حلاً وأبعد منالاً

هل علمت – مثلا – أن الماء يتكون من غازى الأوكسيجين والأيدروجين بنسبة واحد من الأول واثنين من الثانى باعتبار الحجم – فكذلك الشأن فى الأفكار والعواطف ، فقد يكون لديك فكرة من نوع ما ، أو عاطفة من نوع ما ، ثم تسمع فكرة من محدث ، أو تقرأ فكرة فى كتاب ، وتكون فكرتك من وزن خاص ، والفكرة التى سمعتها أو قرأتها من وزن آخر ، فتتحد هاتان الفكرتان ، وتتولد منهما فكرة جديدة لاهى من النوع الأول وحده ، ولا من النوع الثانى وحده ، بل هى نوع خاص ، علاقته بالفكرتين كعلاقة الماء بالأوكسيجين والأيدروجين

وهل علمت أنك إذا ملأت قارورة ثلثها بالأوكسيجين وثلثيها بالايدروجين ثم قربت فوهتها من لهب تسمع لذلك دوياً هائلا ؟ كذلك الشأن فى العواطف ، فقد يكون لديك عاطفة من نوع خاص ، ثم تسمع خطبة من نوع يناسبها فتنفجر نفسك لهذا الاتحاد انفجاراً هائلا ، وتحس ناراً تملأ نفسك . وتذكى حسك ؛ – أوليس الغضب يحمر وجه صاحبه وتنقدح عيناه ، ويجعله يقذف بالكلمات الحادة العنيفة ، ولا تهدأ ثائرته حتى ينتقم – ضرباً من ضروب هذا التفاعل الذى يشبه تفاعل الغازين ؟ أو ليست الحماسة تدفع الجندى ليرمى بنفسه فى خط النار ، ولا يقيم للحياة وزناً ، أثراً من آثار ما يسمع من كلمات القائد وما يشعر من جو وبيئة ؟ أوليس الحب يذيب النفس ، ويرهف الحس ، ويملأ القلب أسى حيناً ، وفرحاً وغبطة حيناً إلا نوعاً من هذا التفاعل دونه التفاعل المادى ، والاتحاد الكيمياوى ؟

وكل ما ندرك من فرق بين التفاعل المادى والتفاعل الروحى أنا استطعنا أن نخضع المادة لبساطتها فنحلل أجزاءها بالكهرباء أو ما أشبهها ونقيس مقدار العنصرين أو العناصر المتحدة، ونعرف مقدار كل منها، ونرصد أثر التفاعل. أما فى الأفكار والعواطف فليس الأمر بهذه السهولة، فلكل انسان آراؤه وعواطفه وهى تختلف فيما بينها كل الاختلاف، فى جوهرها، وفى قابليتها لأفكار الآخرين وعواطفهم، فقد تلقى الكلمة على عدد محدود من الناس فنشعر بأن أثرها عند كل انسان يخالف أثرها عند الباقين، كضوء النهار يفتح أعيننا ويغمض عين الخفاش، وقد يقرأ أحدكتاباً فيزعم أنه غيّر مجرى حياته، وقلب تفكيره رأساً على عقب، وألهمه من المعانى ما استحال بها انساناً آخر، وأحدث فى نفسه ثورة فكرية لم يحدثها أى كتاب غيره، ويقرؤه انسان آخر فلا يشعر هذا الشعور ولا قريباً منه ولا يحس له ميزة ولا يجد له طعماً. وهذا بعينه ما يحدث فى الأجسام، تقرب عود ثقاب مشتعل من ورق فيشتعل، وتقربه من ثلج فيذوب، وتقربه من رخام فلا يشتعل ولا يذوب. وأؤكد لك أن الرواية تعرض فى السينما أو تمثل فى المسرح على عدد كبير من الناس تؤثر فى كل راء بمقدار لا يتفق تماماً وأثر الباقين، وأن تأثر المشاهدين متعدد بتعدد رؤوسهم. ذلك بأن الرواية وإن كانت واحدة وممثلوها متحدين فان هناك عاملاً آخر من عوامل الوزن مختلفاً كل الاختلاف، وهو عواطف الرائى وآراؤه، وأن نتيجة التفاعل تختلف دائماً باختلاف أحد الممزوجين المتفاعلين

إن أردت التوسع فى تطبيق هذه النظرية وجدت القول ذا سعة، فالبائع الناجح فى المتجر ليس هو الذى يكثر الكلام أو يقل الكلام، وليس هو الخفيف الحركة، ولا هو المهندم الثياب، وإنما هو الذى يعرف شيئاً واحداً ويتقنه وهو « قانون التفاعل » ينظر إلى المشترى نظرة نافذة فيعلم نفسه، ويعلم نواحيها، ويعرف المواضع الحساسة منه، ويعرف فى مهارة نقط التأثر عنده، ومقدار الأثر، ثم يستعمل فى العرض وفى الكلام ما يتفق وما درسه من نفس المشترى، وإذا بما يصدر من البائع مناسب لنفس المشترى ومنفعل معها على نحو خاص، وإذا الصفقة قد تمت فى سهولة ويسر، على حين أن زميله ومن بجواره لا يبيع مثل بيعه لأنه يخطىء فى فهم نفسية المشترى فيتفاعل تصرفه تفاعلاً عكسياً مع نفسية المشترى، فينتج من ذلك نوع من الغضب أو نوع من الكراهية أو نوع من المضاضة ينتهى عادة بالاعراض عن الشراء. فان سألت كيف جهل هذا وعلم ذاك، وأين درس أحدهما ولم يدرس الآخر فنجح الدارس وفشل الجاهل؟ قلت إن هذا الدرس لا يتعلم فى المدرسة وإنما يتعلم فى السوق، ويتعلمه من حسن استعداده الفطرى وغريزته الطبيعية، بل إن شئت طبقت هذه النظرية على كل ناجح وفاشل فى الحياة، فالمدرس الناجح من استطاع أن يتعرف نواحى تلاميذه ويعرف ما يُلقى ومالا يلقى، وما يقال ومالا يقال، ويصدر منه ما يتفاعل وهذه النفوس، فيصدر من ذلك التفاعل عطف وحنان وحب، ورغبة فى المعلم، ورغبة فى علمه، ورغبة فيما يقول، وتأثر بما يشير اليه

وما الأسرة السعيدة؟ وما الأسرة الشقية؟ أليست السعيدة من عرفت فيها الزوجة نفسية زوجها والزوج نفسية زوجته وعمل كل منهما على أن يصدر منه ما يتفاعل ونفس الآخر حتى ينتج هذا التفاعل تآلفاً، فاذا انحرف أحدهما عن هذا الوجه عن جهل أو عن علم ساء البيت ونشأ تفاعل من جنس آخر نتج عنه البغض والكراهية والشقاق

الحق أن هذه كلها معادلات فى الكيمياء النفسية تشبه تمام الشبه المعادلات الكيمياوية التى تجرب فى المعمل، ومع الأسف لم يصل الناس إلى حد بعيد فى دراسة هذه الكيمياء النفسية ولم ينشئوا لها المعامل الناجحة نجاح المعامل للكيمياء المادية، والخطأ فى النفس كثير الوقوع لصعوبة تعرف الذرات النفسية وتكوين المعادلات الدقيقة

وإذا أدرك الانسان هذا التفاعل واختلافه ودقته أدرك خطورته، وخاصة فيمن يتصل مركزه بنفوس كثيرين كالصحفى والأديب، والمعلم والخطيب، والزعيم، فقد يصدر عنه ما ينفعل ونفوس الناس فيكون سماً ناقعاً، وقد ينتج عنه ما يكون دواء ناجعاً؟

**أحمد أمين**

# ٢ – النهضة التركية الأخيرة

للدكتور عبد الوهاب عزام

---

ويقول آخرون ان الترك احتفظوا بالخلافة ما استطاعت قوتهم ، ووسعت ثروتهم . فلما نكبتهم الأحداث بما نكبتهم ، وضاقت رقعة دولتهم ، عجزوا عن الاضطلاع بهذا العبء الثقيل ، والتمسك بهذه الأمانة العظيمة فتركوها كارهين

وجوابنا أن بعض زعماء الترك أشاروا بأن يدعى المسلمون الى مؤتمر عام ويقال لهم ها كم خلافتكم قد عجزنا عن حملها ، فتشاوروا بينكم ، وتبينوا أمركم ، وسنّوا للخلافة سنة تلائم زمانكم ، وتواتي أحوالكم . واتفق رجال الحكومة التركية على هذا وأعلموا به عصمت باشا وهو في لوزان . فلماذا نقض أولو الحول منهم ما أبرموه ، وسارعوا فنفضوا أيديهم من المسلمين وخلافتهم وآذنوهم أن لا أخوّة بيننا وبينكم ؟

**المسلمون والتقليد**

اذا نقدت أمة أمورها ، ونظرت في أحوالها ، فنفذت الى بواطنها جهد النظر الثاقب ، والروية والفكر ، ثم هداها نظرها الى أن تستبدل سنة بسنة ، وحالاً بحال ، فتلك أمة رشيدة حميدة وان أخطأها الصواب — وقل أن يخطئها — لأنها بذلت جهد الانسان في تبيّن الحق ، واجتهدت وسعها في إيثار الرشد ، ولم تأل في التريث والتمحيص والنقد المتثبت والنظر الصحيح

واذا أخذت أمة بأسباب التقليد ، وأغريت بالمحاكاة ، كلما لاح لها لألاء من أمة عشت اليه ، وكلما سمعت نغمة قوم هامت بها ، فتلك أمة ضالة وان نقلت عن غيرها هدى ، مخطئة وان أخذت عن غيرها صواباً . ذلكم بأنها حقرت عقولها ، وأغمضت عيونها ، وأسلمت الى يد غيرها أزمّتها ؛ لم تنظر لنفسها فتأخذ وتدع ، ولم تختر بعقلها فتستحسن وتستقبح ، بل خبطت خبط عشواء ، وانطلقت كالحاطب في الظلماء . هي في ذلك قد أهدرت انسانيتها بما ألفت ارادتها واختيارها . وان استمسكت في ظاهرها بما أخذت من نظام ، واعتصمت في رأى العين بما نسخت عن غيرها من سنن ، فذلكم ظاهر ليس وراءه باطن ، ورُواء ليس وراءه حقيقة . تلكم أمة ممسوخة . وقد سمعنا أن أمماً مسخت فأنكرنا ، وقيل إنها مسخت قروداً فعجبنا ، ثم رأينا عمل بعض الناس في هذا العصر فصدّقنا

قد ابتلى كثير من المسلمين في هذا العصر بداء التقليد ، وفشا فيهم خلق العبيد ، وحرموا النظرة النقّادة ، والعزمة النفّاذة ، والهمة الخلاّقة . رأوا سلاحهم أضعف من سلاح أوربا ، وعلمهم أقل ، ونظامهم أوهن ، فجعلوا ذلك تعلّة الى نبذ ما عندهم من خلق ودين وحضارة لتتحلل النفس من تكاليف الانسانية ، وتنطلق في بحبوحة هذه الدنية . وزيّن لهم الهوى أن يقيسوا الدين والأخلاق على العلوم والصناعات ، فمضوا يرون كل شيء عندهم باطلا ، وكل شيء في أوربا حقا ، فاستحسنوا أن ينبذوا كل ما عندهم ويأخذوا كل ما عند الأوربيين ، وخافوا أن يؤخذ عليهم الاستمساك بدينهم وأخلاقهم ، فتنافسوا في هجرها وتحقيرها ، فما يحافظون على رأى أو خلق إلا أن تأتيهم شهادة عليه من عالم أو كاتب أوربي ، بل هم مدينون لأهل أوربا بما عندهم من ظن حسن في حضارة الاسلام وتاريخه ، ومن زين منهم داره بفُرُش عربية فانما يسميها (أرابسكا) ويحاكى فيها أهل أوربا وهلم جرا ، حتى الأزهريون وهم أبعد الناس عن أوربا آثروا أن يسموا الجامع الأزهر جامعة ليترجموا كلمة Université ، وسموا كل قسم من أقسامه كلية ليوافقوا كلمة College

وكم قلت وقال غيرى إن الدنية الخلقية والدينية ليست كالمدنية الصناعية ، فالصناعات قائمة على علوم طبيعية لا تختلف فيها الأمم ، ولا يمتاز فيها الشرق من الغرب ؛ ليست مشتقة من نفس الانسان ، ولا صلة لها بقلبه ، فتستطيع أمة أن تأخذ عن غيرها علوم الطبيعة والكيمياء والحساب والفلك ونتائج هذه العلوم في الصناعات دون أن تغير دينها أو تبدل أخلاقها ؛ ويستطيع زنجي من السنغال أن يذهب إلى فرنسا فيتعلم الطيران أو يدخل في زمرة الجند فيصير عما قليل في البصر بآلات الطائرات ، والدربة على نظام الجيش كالفرنسي ، ولكنه

---

وقع تحريف في المقال السابق في كلمة « خلعة سنوسية » فكتبت قلعة سنوسية

لا يستطيع أن يغير أخلاقه وعاداته ويكون فرنسيا فى خمسين سنة ؛ والحضارة النفسية هى الانسانية حقاً ، والمدنية فى صميمها وهى مشتقة من نفوس الأمة تفسد بفسادها وتصلح بصلاحها

ذلكم ما ينبغى أن نفكر فيه ، ونتوفر على درسه ، فان الأمم لا تصلح على الفوضى ، ولا تسيّر بالأهواء والشهوات ؛ ذلكم ما يجب أن يعنى به أولو الرأى من المسلمين ليأخذوا بحُجَز أممهم أن تتهافت فى هذا التقليد ، وتتردى فى هذه المهالك ؛ ذلكم ما يجب أن ينهض به الشعراء والكتاب ، ليضرموا فى النفوس الذليلة عزة تعنهما المحاكاة العمياء ، وكرامة تعصمها أن تسير كالعجماء . من لى فى المسلمين بعشرين رجلا من كبار النفوس عظماء الهمم ، البصيرين بالمدنيـة الحاضرة ، ظاهرها وباطنها ، العالمين بحضارة الاسلام جليّها وخفيها ، العارفين بأدواء الأمم وأدويتها ، لينيروا الطريق فى هذه الضلالات المظلمة ، والفتن المدلهمة ؟ من لى فيهم بعشرين رجلا كهذا العالم الكبير والشاعر المبدع الذى تنفخ أنفاسه الروح فى الأجسام الهامدة ، والأمل فى القلوب اليائسة ، الرجل المبارك محمد اقبال الذى انبعث صوته فى الشرق بالحياة والهدى والعزة والكرامة ، والطموح إلى العلياء ، والسمو بالنفس إلى أعلى درجاتها ، تلك النفس الكريمة التى تسيل فى شعرها حسرات ، وتتطاير فى كلماتها زفرات ، فما تزال تقدح قلبها لتبعث شرارة بعد أخرى تنير الطريق الحالكة ، وتشعل النفوس الخامدة ، ذلك الرجل الحر الذى وقف من حضارة أوربا وفلسفتها موقف الناقد البصير ، يكشف عن زيوفها ويبين عن بهرجها

كم رأينا فينا علماء وأدباء وشعراء ومتفلسفين ، ولكن أكثرهم لا يفكرون ولا ينطقون إلا بما سمعوا وما قرأوا ، وهم لا يسمعون ولا يقرأون الا عن أوربا . ليس فيهم رجل حرّ يفجر فى قلبه من الحياة ينبوعاً ، أو يضرم فيه من الغيرة ناراً ، ليلقى على كل قلب نضحة من هذا الماء ، وفى كل نفس جذوة من هذه النار ، ايه يا ضُلّال التقليد ! وعبّاد الأصنام فى القرن العشرين !

إن عند المسلمين كنوزاً سفت عليها أعاصير الزمان وقد فترت هممهم ، وانطفأت نار الغيرة فى نفوسهم ، فآثروا الدعة حتى يأتى أهل أوربا يدلونهم عليها ويستخرجونها لهم ! وإن عندهم لنفائس تنادى هممهم وعزائمهم ، ولكنهم يؤثرون أن يتلقوا عن أوربا أشياءها مهيّأة فى عُلب مذهّبة ! ومن ركن إلى الدعة ذلّ ، ومن آثر اليسير من الأمور وأشفق من لقاء المصاعب فهو حىّ أشبه بميت ؛ واليكم مثلاً من مئات :

لنا شريعة جاء بها القرآن والسنة وعملت فيها قرائح المسلمين بحثاً واستنباطاً ثلاثة عشر قرناً . فما بقيت واقعة إنسانية إلا اشتق لها حكم يلائم الزمان والمكان ، فصارت هذه الشريعة جماع تجارب الأمم فى عصور مختلفة وبلاد كثيرة . فلما أراد المصريون أن ينظموا القضاء عجزوا عن النظر فى هذه الكنوز المدخرة ، وأشفقوا من الاضطلاع بهذا العبء الثقيل ، فأجلسوا نفراً يترجمون لهم قانون نابليون ، فتهيأ لنا قانون مختصر مرتب مفصل ، وأصبحنا نجارى فرنسا فى نظامها ؛ فقد طوينا مسألة القرون فى أشهر قليلة . وماذا علينا بعد ذلك أن يكون هذا القانون فى دين الأمة نكراً ، وفى أخلاقها شذوذاً ، وفى أفكارها أعجوبة ، وفى جسمها شللاً ، وفى نفسها موتاً ؟ لا ضير فقد أخذنا قانون نابليون وناهيك بذلك فخراً وتمدناً . . .

لو أن فى المسلمين أناسىّ يستوحون عقولهم ويستفتون قلوبهم لخلقوا لأنفسهم نظاماً ، وشرعوا لأنفسهم من دينهم قانوناً ، لو أنهم أصحاب همم لسلطوا هممهم على الزمان فأسرته ، ثم صرفته طوع المشيئة ، ورهن الارادة ، ولما لبثوا يتملقون بالعصر ومقتضياته والزمان وفرائضه ، فان الرجل الحر سيد الزمان والمكان يسخرها ولا يذل لها . أين العزائم التى تلقى الزمان بملء خطوه هيبة ، وتردّ أحداثه بأشد منها صولة ؟ آمين ثم آمين . . .

* * *

ومما أخذ فيه المسلمون بتقليد أوربا غلوهم فى النعرات القومية ، والتكاثر بالمفاخر التاريخية ، واعتزاز كل فريق بمآثره الجاهلية ، كأنهم لم يكونوا على الأحداث أعواناً ، ولم يلبثوا أربعة عشر قرناً إخوانا ! ! قيل للمصريين : أنتم أبناء الفراعين فارجعوا الى حضارة المصريين القدماء ، واعبدوا العجل لتقوموا بذلك شهداء . وقيل لأهل الشام : وأنتم يابنى الفينيقيين تمسكوا بتاريخ الأقدمين ، وائتوا بآبائكم إن كنتم صادقين ! وقيل للفرس : يابنى الأكاسرة لقد فتح العرب بلادكم ، وأزالوا مُلككم ، وفرضوا دينهم عليكم

فانفضوا أيديكم من أخوتهم ، وردُّوا اليهم دينهم ، وارجعوا الى زردشت وإن لم تعرفوه ، واقرأوا كتابه وإن لم تفهموه ، فالباطل الايرانى خير من الحق العربى ! وقيل للترك : وأنتم يا سلالة جنكيز المقدس ، وعبدة الذئب الأطلس ، قد كانت لكم فى سيبريا حضارة ، ثم كانت لكم فى قره قروم دولة ، فارتدوا الى حضارتكم الأولى ، وانزعوا الى وثنياتكم القدامى ، ودعوا مجدكم فى الاسلام ، واكفروا بمآثره عليكم ، ومآثر آبائكم فى تاريخه

دعيت كل أمة الى جاهليتها ، فذهب المسلمون ينبشون القبور ليمتزوا بحجر قديم وعظم رميم ، ويفخروا بعلامة من حضارة ، أو أمارة من مدنيـة ، وغفلوا عن مجدهم فى الاسلام يرجف به المشرق والمغرب ، وتضيء به الشمس والقمر . وليس أمة اسلامية ذات مجد فى الجاهلية إلا مجدها فى الاسلام أبهى وأبهر ، وأعلى وأعظم ، ولكنها عصبيات الجاهلية ، والفتن الأوربية ، تركس الانسان فى بهيميّته ، وتردّه الى وحشيته

***

بينما يجهد عقلاء المسلمين لايقاظهم من رقدتهم ، ويحرقون أنفسهم لاشـعال الحياة فيهم ، إذا « النهضة التركية الأخيرة » فقلنا حياة فى المسلمين جديدة ، ويقظة لا تلبث أن تصير شاملة . قلنا أولئك إخواننا زعماء المسلمين ينفخون فى الصور ، ليبعثوهم من القبور ؛ لعل هذه النفوس الكبيرة تخلق أمة جديدة ، أو تخترع لنا سنّة رشـيدة ، تصل عزة الماضى بمجد المستقبل وتذهب بذل الحاضر ؛ إن يخلُقوا فالرجل الحر خلاق ، وإن يسـبقوا فالكريم الى المعالى سـباق — لا ريب أننا سنرى فيهم عمر بن الخطاب ، وهارون الرشيد ، وعبد الرحمن الناصر ، وصلاح الدين الأيوبى ، وسليمان القانونى ، ولكن فى القرن العشرين يفتحون صدورهم لعلومه ، ويتوسلون بوسائله الى الغايات الشريفة والمثل العليا التى سعى إليها المسلمون من قبل . ثم نظرنا فاذا نفخة الصور ، لا تدعو الى النشور ، وإذا الهمم العالية تسف ، والعزائم الماضية تهن ، وإذا حياة تجفل من نفسها وتعتز بغيرها ، وإذا نهضة من المحاكاة عليلة ، وخطة من التقليد ذليلة ، قصاراها : « اقطع كل ما يربطك بالاسلام وأممه ، وأحكم كل ما يصلك بأوربا وسننها »

فانظر ماذا صنعوا انفاذاً لهذه الخطة :

( له بقيـة ) عبد الوهاب عزام

# ١ ـ شمس الدين السخاوى
## حياته وتراثه

للأستاذ محمد عبد الله عنان

---

أتيحت لى فى الأعوام الأخيرة فرصة لدراسة شخصية بارزة تتبوأ مكانة رفيعة فى آداب مصر الاسلامية ، وفى الآداب العربية بوجه عام ، وتمثـل وحدها مدرسة فكرية زاهرة ، وتمتد عبقريتها الشاملة الى عدة نواح وفنون مختلفة ، وما زال تراثها الى اليوم يكون مجموعة قوية حافلة فى تراث الأدب العربى والتفكير الاسلامى

أريد بتلك الشخصية ، شمس الدين السخاوى الذى تملأ شخصيته الحركة الأدبية المصرية زهاء نصف قرن

كان السخاوى إحدى هذه العبقريات الأدبية التى تفتحت بمصر فى القرن التاسع الهجرى ( القرن الخامس عشر الميلادى ) واختتمت بها مصر الاسلامية حياة أدبية باهرة سطعت مدى قرنين ؛ وكان ظهوره فى النصف الأخير من هـذا القرن ، حينما أخذت عوامل الانحلال تفت فى هذا الصرح الباذخ الذى شادته دول السلاطين بمصر ، وأخذت الحركة الأدبيـة التى كانت فى النصف الأول من القرن التاسع فى أوج عنفها وازدهارها ، تميل الى الضعف والسقم ، وتستبدل ألوانها القوية الساطعة بألوان سطحية باهتة ؛ فكان ظهور السخاوى وتلميـذه ومنافسه السيوطى فى أواخر هذا القرن نفثة أخيرة من نفثات هذه الحركة القوية التى لم تلبث أن خبت بعد ذلك وانهارت أمام الفتح العثمانى

— ١ —

ومن حسن الطالع اننا نستطيع أن ندرس شخصية السخاوى على ضوء حسن ؛ فلدينا أولاً معظم آثاره نقرأ فيها خواص تفكيره وأدبه ؛ ولدينا ترجمته لنفسه وعدة أخرى من التراجم المعاصرة ، نتتبع فيها حوادث حياته وظروف تكوينه

ولد السخاوى ، كما يحدثنا فى ترجمته لنفسه ، بمدينة القاهرة ، بحارة بهاء الدين[1] ، فى ربيع الأول سنة ٨٣١ هـ ( ١٤٢٨ م )

---

(١) كان موقع هذه الحارة على مقربة من باب الفتوح ، وكانت من الأخطاط الجليلة فى ذلك العصر ( المقريزى ج ٣ ص ١ )

فى أسرة أصلها من بلدة سخا من أعمال الغربية ، واستقرت فى القاهرة قبل ذلك بجيلين . وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر بن عثمان ، شمس الدين أبو الخير السخاوى ؛ ولما بلغ الرابعة من عمره تحولت أسرته الى منزل جديد فى نفس الحى اشتراه أبوه ؛ وكان موقعه بجوار دار علامة العصر الحافظ ابن حجر العسقلانى[١] ؛ وكان لهذا الجوار أكبر أثر فى حياة السخاوى ، كما سنرى . وأنفق السخاوى بضعة أعوام فى المكتب وحفظ القرآن ؛ ثم أخذ يطوف بأشياخ العصر يتلقى عنهم مختلف العلوم والفنون ؛ ودرس النحو والعروض واللغة والفقه والحساب والميقات والأصول والبيان والتفسير والمنطق ؛ وهنا يعدد لنا السخاوى ثبت أساتذته وما أخذه عن كل منهم ، وما درسه من مختلف الكتب[٢] ؛ وتجلت مواهبه ومقدرته بسرعة مدهشة ؛ وأجاز له الكثيرون من شيوخه ، بل أجازوا له الافتاء ولما يبلغ العشرين بعد

وقد كان ابن حجر فى مقدمة أساتذته ؛ وكان ذلك الجوار الذى رتبته ظروف الحياة مبعث هذه الصلة الوثيقة التى استمرت مدى الحياة بين الأستاذ وتلميذه ، والتى بثت غير بعيد الى نفس الفتى نوعاً من العبادة الروحية لهذا الذى كان يعتبر يومئذ إمام الأئمة وقطب العلماء والباحثين . والواقع أن ابن حجر كان يتبوأ يومئذ مركز الزعامة العلمية فى مصر الاسلامية ، وكان فى ذروة نضجه ومجده ، وقد انتهت اليه الرياسة فى معظم علوم العصر ، ولا سيما الحديث والشريعة . وكان بدء اتصال السخاوى بأستاذه فى سنة ٨٣٨ هـ ، أعنى وهو طفل لم يجاوز الثامنة ؛ وكان يذهب مع أبيه ليلاً إلى مجالس الشيخ فيستمع الى دروسه فى الحديث . ويصف لنا السخاوى علاقته بأستاذه فى عبارات مؤثرة تنم عما كان لهذه العلاقة من عظيم الأثر فى تكوينه فيقول متحدثاً عن نفسه : « وقبل ذلك كله سمع مع والده ليلاً الكثير من الحديث على شيخه إمام الأئمة الشهاب ابن حجر ، فكان أول ما وقف عليه من ذلك فى سنة ثمان وثلاثين ، وأوقع الله فى قلبه محبته ، فلازم مجلسه ، وعادت عليه بركته فى هذا الشأن . وأقبل عليه بكليته اقبالاً يزيد على الوصف بحيث تقلل ما عداه . . . وداوم الملازمة لشيخه حتى حمل عنه علماً جماً ، واختص به كثيراً بحيث كان من أكثر الآخذين عنه ؛ وأعانه على ذلك قرب منزله منه ، فكان لا يفوته مما يقرأ عليه إلا النادر . . . وينفرد عن سائر الجماعة بأشياء . وعلم شدة حرصه على ذلك فكان يرسل خلفه أحياناً بعض خدمه لمنزله ؛ بأمره بالمجىء للقراءة »[١]

وهنا يفيض السخاوى فى ذكر الكتب والمتون التى قرأها ودرسها على شيخه ابن حجر ، سواء من تصنيفه أو تصنيف غيره ، ومعظمها فى الحديث ؛ ودرس عليه أيضاً التاريخ والتراجم ؛ ودرس فى الوقت نفسه على كثير من شيوخ العصر ؛ ويعدد لنا السخاوى كثيراً من شيوخه ويقول لنا انهم بلغوا أكثر من أربعمائة ؛ بيد أن ابن حجر كان دائماً إمامه وشيخه المفضل ، وقد أذن له غير بعيد فى الاقراء والافادة والتصنيف . ويقول لنا السخاوى إنه لم ينفك عن ملازمة استاذه ، ولا عدل عنه علازمة غيره من علماء الفنون خوفاً على نقده ، ولا ارتحل الى الأماكن النائية بل ولا حج إلا بعد وفاته ؛ لكنه حمل عن شيوخ مصر الواردين اليها كثيراً ، وفى الأوقات التى لا تعارض وأوقاته سيما حين اشتغاله بالقضاء وتوابعه » . وقد لبثت هذه العلاقة الوثيقة بين التلميذ وشيخه حتى توفى ابن حجر فى أواخر سنة ٨٥٢ هـ[٢]

وهنا تبدأ المرحلة الثانية فى حياة السخاوى ؛ وهى مرحلة درس وتحصيل أيضاً ولكن خارج مصر . وكان السخاوى يومئذ فى الثانية والعشرين من عمره ؛ ولكنه كان رغم حداثته قد برز فى كثير من العلوم التى تلقاها ؛ وكان قد استأثر فى هذه الأعوام الطويلة التى قضاها إلى جانب ابن حجر بكثير من علمه ومعارفه ، وتأثر أعظم تأثير بأساليبه ومناهجه ؛ بل نستطيع أن نقول إن السخاوى كان بعد ابن حجر ، مستودع علمه وتراثه ؛ وكان أشد تلاميذه تمثيلاً لمدرسته ؛ بل كان بعد شيخه زعيم هذه المدرسة وأستاذها القوى يرفع لواءها ويحمل مناهجها حتى خاتمة القرن التاسع ؛ وقد أشار ابن حجر نفسه فى أواخر أيامه إلى

(١) كانت دار ابن حجر تقع بالقرب من المدرسة المنكوتمرية داخل باب القنطرة بحارة بهاء الدين أيضاً ( خطط المقريزى ج ٣ ص ٨٤ والتبر المسبوك للسخاوى ص ٢٣٣ )

(٢) راجع ترجمة السخاوى لنفسه فى كتابه الضوء اللامع — نسخة دار الكتب الفتوغرافية ( رقم ٦٧٥ تاريخ ) المجلد الرابع القسم الأول ص ٦٧ — وهى المشار اليها فيما يلى

(١) الضوء اللامع — المجلد السابق ذكره ص ٦٨ — وكذلك التبر المسبوك ص ٢٣٢

(٢) الضوء اللامع . ترجمة السخاوى لنفسه فى المجلد المشار اليه — ( ص ٦٩ ) — والتبر المسبوك ( ص ٢٣٢ و ٢٣٣ )

تلك الحقيقة ، وكثيراً ما وصف السخاوى بأنه « أمثل جماعته » أو « ممثل جماعته » [١]

وسافر السخاوى عقب وفاة استاذه إلى دمياط ودرس على شيوخها حيناً ؛ ثم سافر مع والدته بحرا إلى مكة ليؤدى فريضة الحج ؛ وانتهز هذه الفرصة فدرس على شيوخ مكة والمدينة ، وطاف بالبقاع والشاهد المقدسة كلها ؛ ثم عاد إلى مصر ، وسافر إلى الاسكندرية وقرأ بها مدى حين ؛ وزار معظم عواصم الوجه البحرى وقرأ على شيوخها الأعلام جميعاً ، وحصل كثيراً من الفوائد والمعارف . ثم رأى أن يقوم برحلة إلى الشام ليزور معاهدها ، ويتعرف بشيوخها ؛ فسافر إلى فلسطين وطاف ببيت المقدس والخليل ونابلس ؛ ثم قصد إلى الشام ، وزار دمشق وحمص وحماه ، ثم استقر حيناً فى حلب ؛ كل ذلك وهو يدرس ويقرأ على أعلام هذه العواصم ؛ ويقول لنا إنه « اجتمع له فى هذه الرحلة من الروايات بالسماع والقراءة ما يفوق الوصف » ؛ ويبدو من تعداده للكتب التى درسها وقرأها فى هذا الطواف ، أنه كان يعنى بدراسة الحديث والقراءة والنحو والفقه وعلوم البلاغة والتصوف . ولم يبين السخاوى لنا تواريخ تنقلاته فى هذه الرحلة ، ولكن الظاهر أنها استغرقت بضعة أعوام

ولما عاد السخاوى إلى مصر ، عكف على التدريس ، ولا سيما تدريس الحديث ، أحياناً بمنزله ، وأحياناً بخانقاه (معهد) الصوفية المعروف بسعيد السعداء ؛ وكذا انتدب فى أوقات مختلفة للتدريس فى أعظم مدارس القاهرة كدار الحديث الكاملية والصرغتمشية ، والظاهرية ، والبرقوقية ، والفاضلية وغيرها ؛ وذاع صيته واقبل عليه الطلاب من كل صوب . وفى سنة ٨٧٠ ﻫ سافر مع أسرته ــ وكان قد تزوج يومئذ ورزق بعض الأولاد كما يفهم ذلك من إشارته إلى مولد ولده أحمد [٢] ــ ومع والده وأكبر أخويه إلى الحج للمرة الثانية ؛ وصحبه أيضاً فى تلك الرحلة صديقه وأستاذه النجم بن فهد الهاشمى ــ وكان من أعلام العصر . ودرس بمكة مدى حين ، وقرأ بالمسجد الحرام بعض تصانيفه وتصانيف غيره . ولما عاد إلى القاهرة استأنف دروسه واملاءاته ؛ وتبوأ مركز الزعامة يومئذ فى علم الحديث ، وشغل فيه نفس المركز الذى كان يشغله فيه استاذه ابن حجر قبل ذلك بثلاثين عاماً .

(١) راجع « الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة » (مخطوط دار الكتب) فى ترجمة السخاوى — وراجع شذرات الذهب (ج ٨ س ١٥) (٢) الضوء اللامع — المجلد المشار اليه س ٧٣

ثم حج السخاوى للمرة الثالثة فى سنة ٨٨٥ ﻫ ، وقضى بمكة عاماً فى التدريس والدرس ؛ ثم حج سنة ٨٧ وقضى ثمة حيناً فى الدرس والاقراء ؛ وحج للمرة الخامسة فى سنة ٩٢ ﻫ وقضى ثمة عاماً آخر فى الدرس والاقراء ؛ ثم حج فى سنة ٩٤ ، وقرأ الكثير من دروسه وتصانيفه ، وغدت مكة وطناً ثانياً له ؛ وكتب بها كثيراً من مؤلفاته كما سنرى

ولما عاد إلى القاهرة فى سنة ثمان وتسعين (٨٩٨ ﻫ) استقر بمنزله ، وأبى الدرس والأقراء فى المعاهد والحلقات العامة « ترفعاً عن مزاحمة الأدعياء » حسب قوله ، وترك الافتاء أيضاً واكتفى بالاقراء فى منزله لخاصة تلاميذه ؛ وكان السخاوى قد أشرف يومئذ على السبعين من عمره ، ولكنه استمر منكباً على الدرس والتأليف ؛ وكانت قد انتهت إليه الرياسة يومئذ فى معظم علوم عصره ، ولا سيما الحديث ؛ حتى قيل إنه فاق شيخه ابن حجر فى ميدانه ، وانتهى اليه فن الجرح والتعديل ، حتى قيل لم يبلغ أحد مكانته فيه منذ الحافظ الذهبى [١] ؛ وكانت شهرته قد تعدت حدود مصر منذ بعيد وذاعت فى أنحاء العالم الاسلامى ، ولاسيا فى الشام والحجاز حيث تلق عليه مئات العلماء والطلاب ؛ ولبث السخاوى رغم مكانته العلمية الرفيعة ونفوذه القوى بعيداً عن ميدان السياسة ودسائس البلاط والمناصب الرسمية ؛ واقترح عليه صديقه الأمير يشبك الداوادار أن يقرأ التاريخ بمجلس السلطان الظاهر خشقدم [٢] فأبى ؛ ثم عرض عليه أن يتولى القضاء بعد ذلك ، فاعتذر وأشار بتعيين خصمه ومنافسه السيوطى رغم ما كان بينهما من الخصومات الأدبية الشهيرة [٣]

وأقام السخاوى حيناً فى القاهرة ؛ ثم سافر إلى مكة ليحج للمرة السابعة ؛ وعكف بعد أداء الفريضة على الاقراء والدرس ، وتردد حيناً بين مكة والمدينة ؛ ثم استقر أخيراً بالمدينة ؛ واستمر فى الاقراء بها حتى توفى فى ١٣ ذى القعدة سنة ٩٠٢ ﻫ (١٤٩٧ م) [٤] فى الحادية والسبعين من عمره

(للبحث بقية) محمد عبد الله عنان

(النقل ممنوع) المحامى

(١) شذرات الذهب ج ٨ س ١٧
(٢) حكم من سنة ٨٦٥ — ٨٧٢ ﻫ
(٣) الضوء اللامع — المجلد المشار اليه — س ٨٦ و ٨٧
(٤) هذه هى رواية صاحب الكواكب السائرة ؛ ولكن صاحب شذرات الذهب يضع وفاته بمكة فى ٢٨ شعبان سنة ٩٠٢ ﻫ (ج ٨ س ١٧)

# مكتبتي

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

مكتبتي شيء عظيم جداً – ولست أعني أنها كبيرة ضخمة ، وأن في خزاناتي آلافاً مؤلفة من المطبوع والمخطوط . فما عندي مخطوط واحد ، ولا ولوع لي بجمع هذا الضرب من الكتب ، وما يمكن أن تبلغ كتبي الآلاف بعد أن احتجت أن أبيع منها مرات ، وإني لمجنون بالكتب ، ولكن جنوني عا فيها لا بأشكالها وألوانها على رفوفها . وقد اعتدت الا أبالي أن يبق الكتاب عندي بعد أن أقرأه أو أن يذهب ، ولم أكن كذلك ، ولكن المرء مما تعود . وعلى أنه سيان أن أحتفظ بالكتاب وأن أبيعه كما اشتريته ، أو أهبه ، فما الى الوصول اليه سبيل في هذه الخزانات ، ولأهون عليّ أن أشترى منه نسخة أخرى من أن أهتدي الى موضعه وأعرف أين اختبأ . ومتى كان هذا هكذا ، فما حرصي على كتاب يحاورني ويهرب مني وأنا أدور بعيني على الرفوف ؟؟

وليس أثقل علي ، ولا أشق على نفسي من الاقامة في بيت واحد زمناً طويلاً ، ولو وكل الأمر لاختياري لاتخذت كل يوم بيتاً ، ولكن الكتب راضتني على السكون وردتني على مكروهي ، فأنا الآن كالمقعد لا أكاد أتحول ، إلا أن أحمل على الانتقال حملاً ؛ ذلك أني كلما سكنت بيتاً ، أروح أتخير للكتب أوسع الحجرات وأكثرها شمساً وهواء ، ثم أقول دعوا الصناديق والقرارات حتى أفتحها وأخرج ما فيها وأرتبه بنفسي ، فتترك شهوراً ، تنقلب الحجرة في خلالها مزبلة ، فيتبرم أهلي ويلحون عليّ أن أفرغ الصناديق

فأقول : « لا بأس . موافق »

فتسألني زوجتي : « ومتى تفعل ؟ »

فأعدها خيراً ، فتلح عليّ ، فأؤكد لها أني فاعل ذلك غداً إن شاء الله

فتقول : « إن شاء الله معناها عندك أنك لن تفعل أبداً »

فأقول : « استغفرى الله يا امرأة ! إن شاء الله يعني إن شاء الله ، أليس كذلك ؟ »

فتقول : « ولكني أريد تنظيف الغرفة ! ألا ترى هذا التراب ؟ »

فأقول : « صحيح ! كثير »

لأني أحب أن أقر بالحق وأكره المكابرة ، فتهمل الثناء على ذلك وتقول :

« وهذه الصراصير ؟ والفيران ؟ لا . لم يعد هذا بيتاً يُسكن »

فأقول : « ألا أقول لك وأريحك ؟ »

فتقبل عليّ مسرورة وتسألني : « ماذا ؟ »

فأقول : « أفرغى أنت الصناديق ، ورصى الكتب على الرفوف – على أي ترتيب – وارفعي التراب ، واقتلي الصراصير ، وطاردي الفيران – وعلى الجلة ، نظفي الغرفة – هيه ؟ ما قولك ؟ »

فتوافق ، وأعود من عملي فألقى المكان نظيفاً ، فلا فيران ولا صراصير ولا تراب ، ولا صناديق ، ولكني أحتاج أن أرجع الى كتاب ، فأفتح خزانة بعد أخرى وأنظر الى ما تكدس على رفوفها فأرتد يائساً وأصيح بزوجتي :

« يا امرأة ! أين وضعت ابن الرومي ؟ » مثلاً !

فتقول : « عندك بالطبع »

فأسألها : « أواثقة أنت أنك لم تضعيه في المطبخ ؟ »

فتقول محتجة : « المطبخ ؟ كيف تقول هذا ؟ أهذا جزائي على تعبي ؟ »

فأقول : « معذرة ، ولكني لا أراه هنا »

فتقول : « ابحث عنه »

فأبحث – أعني أني أروح أخرج من الخزانة صفاً بعد صف ، وأضع ما أخرج على الأرض هنا وهنا ، حتى تخور قواي ، وينفد صبري ، ويعي جلدي ، وأنظر الى ما فرشت به الأرض فأجزع ، وأغافلها – أعني زوجتي – وأتسلل خارجاً ، وأرد الباب ورائي حتى لا ترى شيئاً

وأعود في الليل ، وفي ظني أنها نائمة ، وفي عزمي أن أعيد الكتب الى الرفوف ، فأفتح الباب برفق ، فاذا الكتب قد وثبت بقدرة ربك ، وصفت نفسها على الرفوف ، وتزاحمت ، ودخل بعضها في بعض – خوفاً من الفيران ولا شك ! فأتنفس الصعداء وأفرك كفيّ ، وأقول : « الحمد لله ! يا ما أكرمك يارب ! » وإذا بزوجتي تقول : « وآخرتها معك ! ألا يمكن أن تعيد كتاباً إلى موضعه بعد إخراجه ؟ ألا بد أن ينشف ريق

كل يوم بسبب هذه الكتب ؟ شيء غريب والله ! كيف ومتى يمكن أن أفرغ للبيت إذا كانت هذه الغرفة هماً لا ينقضي ؟ »

وأحب مرة أخرى أن أقرأ في كتاب ، فأدخل الغرفة ، فتدخل ورائي تجرى ، وتتناول ذراعى وتشدنى فأستغرب وأسألها « ماذا ؟ »

فتقول بحدة « ماذا أنت ؟ »

فيزيد عجبي وأقول : « ماذا أنا ؟ ألا تعرفين ماذا أنا ؟ سيدك ياستى ! »

فتقول وهي تجاهد أن تعبس ، والضحك يغالبها : « دع المزاح الآن ! ماذا تريد أن تصنع ؟ »

فأقول « شيء جميل ! وكيف يعنيك هذا يا امرأة ؟ »

فتقول : « يعنيني مصير الغرفة — هذا ما يعنيني ياسيدى — ولست أنوى أن أدعك تقلبها مزبلة فقد ورمت كفاى من العمل فيها »

فأقول : « وماذا تصنع هذه العجوز ؟ تأكل وتشرب فقط وتقبض أجرها آخر الشهر ؛ وهذه الفتاة الخفيفة لماذا لا أراها تعمل شيئاً غير اللعب مع الأولاد ؟ وتلك الثالثة . . . أهو بيت أم دكان مخدم ؟ أريد أن أعرف هذا أولاً »

فتقول : « لا تحاور . إن الكتب لا يمسها غيرى ، فانى أخاف عليها التمزيق . . »

فأشكرها ، فتقول : « العفو ! ولكني أخاف منك على الغرفة ، فاصنع معروفاً وارجع عنها »

فأسألها : ولكن كيف أرجع وأنا أريد كتاباً ؟ »

فتقول : « لا تتعبنى . . . من فضلك . . . أرجوك »

فأشمر لها برقة وأقول : « يا امرأة ! هل استطعت قط أن أرفض لك رجاء ! ؟ »

وأتبعها ، وأنصرف عن الكتب والقراءة ، وأعزى نفسي بأنى كنت سأنصرف لا محالة عن ذلك مرغماً ، فما أطمع أن أجد كتاباً أطلبه

من هنا صار المعقول أنى إذا اشتهيت أن أقرأ كتاباً أو أردت أن أراجعه ، أن أشتريه ، وقد أشتريه ، وأضعه على الكتب إلى المساء ، فتراه زوجتى فتفتح خزانة وتدسه فى صف ، وأعرف ما صنعت به ، فأشترى نسخة أخرى ، ومن أجل هذا أيضاً صار عندى من بعض الكتب ثلاث نسخ أو أكثر

وقال لى أخى مرة : « يحسن أن ترتب هذه الكتب »

قلت : « يا أخى ، كيف أصنع ؟ »

قال : « أجيئك ببطاقات ، تكتب فيها أسماء الكتب مرتبة على حروف المعجم ، فاذا طلبت كتاباً راجعت البطاقات ، فسهل عليك إخراجه »

قلت : « رأى سديد — هات البطاقات »

فجاءنى ببضع مئات منها ، ودفع بها إلىّ ، فنظرت اليها وشكرته ثم قلت له :

« أما البطاقات فجاءت ، وأما الكتابة فيها فأحسبها تقتضى أن أخرج الكتب واحداً واحداً ، وأقيد أسماءها ، ثم . . . »

فصاحت زوجتى : « لا لا لا لا ! أرجو . . . أرجو ألا تفعل . . . »

فالتفت اليها وقلت : « يا امرأة ! كيف ترضين عن هذه الفوضى ؟ بل لا بد من الترتيب »

فقالت : « أنا واثقة أن الكتب لن ترتب . وكل ما يحصل هو أن تخرجها وتكومها على الأرض وتتركها ، فيغطيها التراب ، وتجتمع عليها الصراصير ، فأعود إلى نفض التراب وطرد الصراصير . . . لا ياسيدى ! لن أسمح بهذا أبداً ! »

فنظرت إلى أخى وقلت : « أتسمع ؟ إنها لا تسمح ! فما رأيك ؟ »

قال : « الحق معها . ولو كنت أنا مكانها . . . »

فلم أدعه يتم الجملة وصحت به : « أعوذ بالله ! »

فشكرنى ، وقال « إنما أعنى . . . »

فعدت إلى مقاطعته وقلت : « دع ما تعنيه ، من فضلك ، وحسبك أنك نغصت علىّ حياتى ! »

فدهش وقال : « كيف ؟ »

قلت : « سأرى وجهك بعد الآن كلما نظرت إلى امرأتى . . . أعوذ بالله . . . يا ساتر يارب . لطفك اللهم ! »

وقد حرصت على البطاقات ، لأقيد فيها أسماء الكتب مرتبة على حروف المعجم ، فما من هذا مفر ، ولكن العقدة أن زوجتى تؤثر الترتيب الحالى ، وقد بلغ من رضاها عنه وخوفها عليه أن يضطرب أو يفسد ، أنها أخفت مفاتيح الخزانات لا أدرى أين ؟ بارك الله فيها — أعنى زوجتى لا الخزانات

ابراهيم عبد القادر المازنى

# ساعة في البقيع*

## للأستاذ علي الطنطاوي

خرجنا اليه في صُفرة الطَّفل ، وقد سكرت الريح ، وسجا السماء . وكان اليوم رَوْحاً ، فما تجاوزنا أزقة المدينة الضيقة الملتوية وبدا لنا سور البقيع الهائل الذي أقاموه في وجه مدينة الموت كيلا تبتلع مدينة الحياة ... حتى هبّت الرياح لواقح ، فأنشأت سحاباً ما لبث أن اكفهر وتطخطخ وعمّ السماء ، فأظلمت الأرض واسودّت ، وعادت كئيبة تملأ النفس غماً . وكنا قد بلغنا البقيع ، فرأيته موحشاً مظلماً رهيباً :

« قاتم الأعماق خاوي المخترق »

وشممت منه رائحة الموت ، فهيبت دخوله في هذه الأمسية ، وأزمعت العودة ، ولكن صاحبي أصرّ عليّ وشجعني ، ثم أخذ بيدي فاذا أنا وراء السور ، وإذا ساحة فسيحة ، ممتدة الجوانب ، مظلمة الأرجاء ، ساكنة سكون الموت ، ليس فيها بناء ولا قبة ولا تابوت ، كأنما لم يسمح لبشر أن ينصب في حرم الموت معالم الحياة ، أويدنس دار البقاء بشارات الفناء ... فأغمضت عيني ، وشددت على ذراع صاحبي ، وجعلت أدنو منه لما أجد من الوحشة وأحس من الجزع ، وما عهدتني من قبل أعرف الخوف أو أدري ما الجزع ، فسار بي يقودني حتى هبط بي غوراً عميقاً ، حال بيني وبين الفضاء ، وحجب عني السور الذي كنت أراه فآنس رؤيته ، وأذكر أنها لاتزال وراءه دنيا حافلة بالنور والجمال والحياة . . . فلم أعد أرى شيئاً ، وامحت من خيالي كل صورة ، وطارت من راسي كل فكرة ، إلا فكرة الفناء ، وصورة الموت ، وأحسست وأنا أهبطه أني هابط إلى القبر ! وخيل إليّ أن أشباح الموتى ترقص من حولي ، وتدنو مني وتمسني وتهمّ بعناقي ، فتقف كل شعرة في جسمي ، ويزداد قلبي خفقاناً ، وتتخاذل ركبتاي حتى أهم بالسقوط ، ويطنّ في أذني صوت رهيب مستطيل يلقي في روعي أنه نشيد الفناء . . . . وكان كل مايخفّ بي تخيفاً رائماً ، فالقبور ، والظلام الشامل ، والسكون العميق ، والسماء التي لا تطرف فيها من النجم عين ، والمكان الذي لا تبلغه نسمة من نسمات الحياة ، وجلال الموت ، كل أولئك كان يخيفني ، ويصب في قلبي الوحشة والفزع . . . ثم صاحت بومة على سور المقبرة ... فاستمسكت بصاحبي وقلت : عد ويحك !

قال : كيف أعود وقد بدأت الزيارة . . . هذا قبر عثمان !

وكأن ذكر عثمان قد رجع إليّ نفسي ، فنظرت فلم أجد قبراً ولا شيئاً يشبه القبر ، وإنما وجدت حجارة صغيرة قد صففت على وجه الأرض ، وفرشت من حولها رمال حمراء ناعمة ، كحوض أعدّ لتزرع فيه الورود ، فقلت :

— أتهزأ بي يا ...

قال : لا والله . ولكني أقول الحق . هذا قبر عثمان

قلت : يا لسخرية القدر ! أتحرثون موضع قبر عثمان أمير المؤمنين لتزرعوا فيه الورود ؟

قال : أي ورود ؟ كل القبور هكذا . . .

قلت : لعلك أخطأت القبر . اذهب فاقرأ اسمه

قال : قد طمست الأسماء ، فما عليه من اسم . ولكن ثق أنه هو . أعرفه من هذه الغضاة !

وأشار إلى غضاة قريبة منه لا أدري كيف دخلت حرم الموت فأنست بها . وذكرني الغضى دنيا مليئة بالصور ، مترعة بالحياة نفت عني بعض ما أنافيه من الغربة والجزع ، فقلت :

— وكيف تعرف غيره من القبور ؟

قال : ما أعرف إلا قبور آل البيت ، وقد كنت أعرف قبر مالك فاختلط عليّ ونسيته ، ولكن يعرفه إذا شئت (العم محمّد) خادم المقبرة ، وبعض الشيوخ من أهل المدينة . . .

* * *

وانقطع الحديث فقد استشرى البرق والتلق ، ورعدت السماء ، ثم هطلت بمطر بماق قشر وجه الأرض . وجعل فيها بِرَكاً وأنهاراً ، فلم نجد شيئاً يعصمنا من الماء نأوي إليه ، إلا هذه الغضاة وما تكاد تعصمنا . . . والمطر في الحجاز أعجب شيء رأيته : فبينا الشمس طالعة ، والأرض مُتسعِّرة ، واليوم خَدِر عصب ، إذا السماء قد تلبدت بالغيوم ، ودوّت بالرعد ، والأمطار

* البقيع مقبرة أهل المدينة ، وقد كتب هذا الفصل في المدينة المنورة ، وهو من فصول كتاب « الصحراء » الذي سيصدر قريباً في وصف رحلة الوفد السوري إلى الحجاز

قد نزلت كأفواه القرب ، واليوم قد عاد قراً بارداً ، ثم لا تلبث حتى تنجلي السحب ، وتصحو السماء ، فتنظر فاذا الأرض قد بدلت غير الأرض ، وإذا السيول قد جرفت البيوت ، وخرّبت الطرق ، وطمست المعالم ، كما يطمس سطر سال عليه الماء ...

ولقد ظنناها سحابة صيف ولكنها لم تنقشع ، ولم تزد الأمطار إلا شدّة وتهطالاً ، ولم يزد الرعد إلا قعقعةً وقصيفاً ، حتى كأن الدنيا مجنونة ، عاودتها نوبتها ، فهي تصرخ وتقفز وتمزق ثوبها بيدها ، وتشق حنجرتها بصراخها ... بيدأني لم أكن أحفل بالبرد ولا بالمطر ، ولم أكن أذكر الخوف ولا الجزع ، ولم أكن أفكر إلا في هؤلاء الأبطال الذين فتحوا الدنيا ، وملكوا العالم ، ثم ضنوا عليهم بقبر يعرف ، أو اسم يقرأ ، أفكر في هؤلاء العظماء ...

... كم انحنت تحت أقدامهم هام الجلاميد الصُّم حتى وطئوها ، كم استكانت لهم هذه الرمال الهائلة حتى قطعوها ، كم دانت لهم البادية المهلكة حتى جابوها ، ليخرجوا منها فاتحين إلى أرض الرياض والعيون ، فيبلغوها رسالة الصحراء ، وينشروا فيها دين الصحراء !

لقد انتصروا على البادية المهلكة ، والشمس المحرقة ، والجوع القاتل ، والعطش المميت ، والعدو الجبار ، والجيش الجرّار ، ثم انتصر عليهم البقيع ، فاذا هم مستقرون في أحشائه ، وإذا هم قد ناموا فيها إلى الأبد ، فلن يذهبوا إلى الحرم ليقيموا الصلاة ، ولن يمتطوا ظهور جيادهم ليمشوا الى الجهاد ، ولن يحملوا الراية الاسلامية لينصبوها على أقصى العالم ، ولن تستقبلهم زوجاتهم وأولادهم إذا عادوا ظافرين ، بل هم لا يرون طلعة الشمس ولا يبصرون صفحة القمر ، ولا يسيرون على وجه الأرض ...

انتصرت أيها البقيع ؟ فما وفيت ولا أنصفت ... جاءك الأبطال الذين فتحوا الدنيا ، ونشروا راية العدل على الأرض ، وأضاءوا طريق الهدى للناس ، ليستريحوا في أرجائك ، وينا موا في حماك ، فحرمتهم قبراً يعرف لهم ، وحجراً تكتب عليه أسماؤهم

ما نريد منك أن تنقش على قبورهم آيات التبجيل والثناء . فإن لهم من أسمائهم الكبيرة ، غنية عن كل تبجيل وثناء (١) ، لكنا نريد ألاّ تنسى هذه الأسماء

سيموت الشيوخ الذين يعرفون هذه القبور ، أفيرضيك أيها البقيع أن يأتي الجيل الجديد ، فيفتش عن هذه القبور فلا يجدها ، فيقول : هاتوا المعول ، هاتوا الأحجار ... ابنوا هنا ملعباً ! لا نجد في المدينة خيراً من هذه الساحة ، إنها لا تترك أرض سدى ! ثم بيناهم يتقاذفون الكرة ، إذا بهم يخطئون فيتقاذفون واحدة من هذه الجماجم ...

أنسيت أيها البقيع أن كل مسلم يحسّ أنه يملك في هؤلاء الأبطال ملكاً ، وأن هذا الرفات ليس من حقك وحدك ، ولكنه حق لكل مسلم ولد أو يولد إلى يوم القيامة ... وأنك إن طمست هذه الأسماء ، حتى يجهلها المسلمون ، أسأت إلى كل المسلمين ؟

أنسيت أن أضيافك عظماء البشر ، أفتستحق العظمة هذا الاهمال الشائن ، وهذا النسيان المخزي ، أم ذنبهم أنهم لم يكونوا فرنجة ولا انكليز ؟ ! أفيكون البانتيون لأبنائه أوفى منك لأبنائك أيها البقيع؟

إنه لم ينتقص من مجدهم أنها لم تشيد لهم القبور ، ولم تنقش أسماؤهم على صفائح الحجر ، وحسبهم أنهم شيدوا مجداً وبنوا أمة وكتبوا تاريخاً ، فاذا نسي التاريخ أبطاله ومنشئيه ، فقدماً نسي التاريخ الأبطال ! وهل ذكر التاريخ أولئك الجنود الذين سقوا الأرض بدمائهم حتى أنبتت مجد نابليون فاقتطفه ؟.. هل ذكر أولئك القصاص الذين أهدوا إلى شكسبير قصصهم الرائعة فرواها ؟ هل ذكر أولئك الملاحين الذين غامروا بأرواحهم حتى أوصلوا كولومب إلى الساحل الجديد وأمسكوا بيده حتى نزل إليه ؟ .. ماذا كان نابليون وشكسبير وكولومب لولا أولئك الأبطال المجهولون الذين نسيهم التاريخ ؟

لا بأس أيها البقيع فان البطل الحق هو الذي لا يعرفه أحد !

* * *

وازداد الرعد قرقرة وهزيماً ، وعق البرق وتكلّح ، وأغدقت السماء وجادت ، وعصفت الريح وأعجّت (١) وجنت الدنيا جنونها ، فنظرت فاذا السيل قد جرف قبر عثمان فلم يبق له من أثر ..! فقلت : اطبقي يا سماء ، وتشققي يا أرض ، وتصدعي يا جبال ... إن من ملكوا العالم لا يجدون القبور ....

**علي الطنطاوي**

(١) ولا نريد أن تقام لهم هذه القامات التي ترتكب عندها أنواع المعاصي ويؤتى فيها المنكر ، فنحن من أشد الناس إنكاراً لهذا

(١) تعمدنا اختيار هذه الألفاظ ليطابق الوصف الموصوف

# القاضي النسوي

## للأستاذ قدري حافظ طوقان

ما أكثر الذين لم يوفهم التاريخ حقهم من البحث والتنقيب وقد أحاط بهم الغموض والابهام وراحوا ضحية الاهمال فلا ترى لهم اسماً في الكتب التاريخية ولا ذكراً في معاجم الأعلام والعلماء! من هؤلاء الذين كاد يطغى عليهم النسيان أبو الحسن على أحمد النسوي، فهو من رياضيي القرن الخامس للهجرة من بلدة نسا بخراسان، لم يكتب عنه إلا ما لا يشفي غلة المنقب، وقد أهملته المصادر إهمالاً معيباً، وإذا اطلعت على تاريخ الرياضيات (لسمث) وجدت عنه نبذة لا تتجاوز عشر كلمات، وهي أن النسوي ألف في الحساب الهندي وشرح بعض المؤلفات لأرشميدس؛ وتجد أيضاً في كتاب آخر يبحث في الأرقام الهندية العربية تأليف سمث وكاربنسكي: أن النسوي من الذين استعملوا كلمة الهندي لتدل على الحساب في القرن الحادي عشر للميلاد. وأما كتاب الآثار الباقية فيقول عن النسوي إنه لم يتمكن من العثور على شيء عن حياته، ومع ذلك فقد استطاع أن يكتب عنه بصورة أوسع من غيره من المؤلفين معتمداً في ذلك على مقدمة كتاب المقنع لصاحب الترجمة. ومن هذه الترجمة يفهم أن النسوي ينتسب لمجد الدولة بن فخر الدولة حاكم العراق الفارسي. ويقال إن مجد الدولة هذا طلب من النسوي أن يؤلف له كتاباً في اللغة الفارسية يبحث في الحساب الهندي على أن يكون موافقاً لديوان محاسبته يمكن الانتفاع منه، وقد كان ما أراد الحاكم وخرج الكتاب إلى الناس فانتفعوا منه وعنه أخذوا الشيء الكثير لمعاملاتهم؛ وقد اطلع شرف الدولة أمير بغداد على هذا الكتاب، ويظهر أنه رأى فيه فائدة وانتفاعاً فأمر النسوي بأن يؤلف له كتاباً باللغة العربية يكون على نمط الكتاب المذكور، وقد كان لشرف الدولة ما أراد، فأخرج النسوي كتاباً سماه (المقنع) وقد وُفق فيه كثيراً، فيقول عنه صالح ذكى: «إن المقنع هو نموذج حقيق يدلنا على المرتبة التي بلغها الحساب الهندي في العراقين العربي والفارسي في أوائل القرن الحادي عشر للميلاد...» ولهذا الكتاب مقدمة ينتقد فيها الذين تقدموه من المؤلفين الرياضيين وينتقد فيها أيضاً معاصريه من واضعي كتب الحساب، وينحي باللائمة على كل هؤلاء ويقول إنه وجد تشويشاً وتطويلاً في الكتب الحسابية التي وضعها الكندي والانطاكي، كما أنه وجد في مؤلفات علي بن أبي نصر في الحساب تفصيلاً لا لزوم له، وأن هناك كتباً أخرى (في الحساب) للكلوازي فيها صعوبة وفيها التواء وفيها تعقيد لا تعود على القارئين بالفائدة المتوخاة. ويقول أيضاً إنه لا يريد أن يجعل بحوثه في كتابه تدور على موضوع واحد، وأنه لا يريد أيضاً أن يحذو حذو الدينوري الذي ألف كتاباً عنوانه يدل على أنه كتاب يتناول موضوعات الحساب المختلفة بينما هو في الحقيقة يتناول حساب النجوم فقط وليس فيه تعرض لأي فرع من فروع علم الحساب، وهذا (على رأيه) مالا يجب أن يكون؛ والنسوي لا يريد أيضاً أن يكون في كتابه هذا مثل كوشيار الجيلي الذي وضع كتاباً في الحساب تعب منه الايجاز وعنوانه لا يدل بحال من الأحوال على ما تضمنه من بحوث حسابية وأعمال رياضية

ولهذا كله (يقول النسوي): فقد رأى الضرورة تدعوه الى أن يخرج إلى الناس كتاباً يتجنب فيه الأغلاط التي وقع فيها غيره من ايجاز يجعل المادة صعبة غير واضحة، ومن اطناب يدخل الى نفوس القارئين السأم والملل. وبالفعل أخرج للناس كتاباً كان فريداً في بابه جمع فيه أحسن ما في كتب المتقدمين والمعاصرين، وقد أضاف اليه كثيراً من نظرياته ومبتكراته، ووضع كل ذلك في قالب سهل المأخذ لا صعوبة فيه ولا تطويل، يمكن للطالب والتاجر والراصد ولكل من يريد الوقوف على أصول المعاملات المتنوعة في الأمور الحسابية أن يستفيد منه؛ ولقد جعل النسوي هذا الكتاب في أربع مقالات، تبحث الأولى في الأعمال الصحيحة، والثانية في الكسور، والثالثة في الأعمال الصحيحة مع الكسرية، والرابعة في حساب الدرج والدقائق: فالمقالة الأولى تتناول الموضوعات التالية: أشكال الأرقام وترقيم الأعداد، جمع الأعداد الصحيحة، ميزان جمع الأعداد الصحيحة، تضعيف الأعداد، طرح الأعداد الصحيحة، ميزان طرح الأعداد

الصحيحة ، تنصيف الأعداد الصحيحة وميزانها ، ضرب الأعداد الصحيحة وأنواعه ، ميزان ضرب الأعداد الصحيحة ، تقسيم الأعداد الصحيحة وأنواعه ، ميزان تقسيم الأعداد الصحيحة ، استخراج الجذر التربيعي للأعداد الصحيحة ، ميزان استخراج الجذر التربيعي للأعداد الصحيحة ، استخراج الجذر التكعيبي للأعداد الصحيحة وميزان استخراج الجذر التكعيبي للأعداد الصحيحة . وأما المقالة الثانية فتبحث في الأبواب الآتية : ترقيم الكسور ، جمع الكسور ، طرح الكسور ، ضرب الكسور ، تقسيم الكسور ، استخراج الجذر التربيعي للكسور واستخراج الجذر التكعيبي للكسور . وتتناول المقالة الثالثة البحوث الآتية : الكسور المركبة وترقيمها ، جمع الكسور المركبة وطرحها وضربها وتقسيمها وكيفية استخراج الجذرين التربيعي والتكعيبي لها . وأما الرابعة فتتضمن ما يلي : أصول ترقيم الكسور الستينية وكيفية جمعها وطرحها وضربها وتقسيمها ، واستخراج الجذرين التربيعي والتكعيبي لها . ومن الاطلاع على محتويات هذا الكتاب يتبين للقارىء أن الكتاب قيم وفيه بحوث تفيد الناس على مختلف طبقاتهم في متنوع معاملاتهم . ومما يدل على طول باع النسوي في الرياضيات وعلو كعبه فيها اعتراف الطوسي بفضله وعلمه ، فقد كان يلقب النسوي بالأستاذ ، ولهذا اللقب أهميته عند الطوسي ، ولاسيما أنه من الذين يعرفون قيمة العلماء ومن الذين لايخلعون الألقاب على الناس بدون استحقاق ؛ ولا عجب في أن يكون هو من المعجبين بالنسوي المقدرين لنبوغه وعبقريته ، فلقد استفاد كثيراً من كتاب ( تفسير كتاب المأخوذات لأرشميدس ) في مؤلفه ( التوسطات ) وهذا الكتاب أي ( كتاب التفسير ) من الكتب التي كان لها أهميتها الكبيرة في تاريخ الرياضيات ، وقد ترجمها إلى العربية ثابت بن قرة . قال صاحب كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون : « مأخوذات أرشميدس مقالة ترجم منها ثابت بن قرة خمسة عشر شكلاً وقد أضافها المحدثون إلى جملة التوسطات التي يلزم قراءتها فيما بين أقليدس والمجسطي . . . » وكان للنسوي تفسيرها وشرحها شرحاً دل على مقدرته وقوة عقله . . .

نابلس قدري حافظ طوقان

# عرائس المولد النبوى

## في الأدب الفرنسي

### للأستاذ م . هداية

أليس غريباً هذا العنوان ؟ أو ليس فيه إشارة لطيفة إلى تقصير أدبائنا ؟

هنري تويل أديب فرنسي أقام في مصر ردحاً من الزمن حتى جعلها في أشعاره وطنه الثاني . وقد هام بجمال مصر وتقاليدها ، وسجل كثيراً من أعيادها القومية والدينية ، ووصف كثيراً من شوارعها وجوامعها الأثرية أبرع وصف . وله ديوان مطبوع باسم «شرق وأدب» حوى الكثير من الأسرار الساحرة في مصر ، أحس بها هو ولم نحس بها نحن !

ولست هنا في صدد تعريف هذا الشاعر الناثر أو تحليله ، وإنما قصدت أن أنقل إلى قراء (الرسالة) جزءاً من قطعة له كتبها سنة ١٩٢٣ على إثر جولة جالها ليلاً بشارع الموسكي في مولد سيدنا الحسين ـ قال :

« . . . وعلى جانبي الجامع كانت الأنوار المنبعثة من دكاكين الحلوى تشع في الليل المتأخر فتجعل منه ظهراً . وكانت هذه الحوانيت متقاربة متلاصقة : اتصل بعضها ببعض اتصالاً لا تقطعه ثغرة ، حتى لا ترى من مجموعها سوى نضد واحد ممتد . وقد غطيت كلها بأنواع شتى من الحلوى : فمنها « الحمصية » وهي حلاوة رصعت بالحمص ، و «السمسمية» وهي مثلها إلا أنها بالسمسم ـ وهذه كثيراً ما يتهافت عليها صغار التلاميذ في الأيام العادية ، فيقبلون على شرائها من الباعة المتجولين كل يوم منجذبين إليها بلذاذة طعمها وبجمال النداءات ذات النغمة الساحرة التي يغنيها الباعة ، مع اللبن الملفوف حول خيوط رفيعة . . . ثم « الجوزية » وهي نوع تتلاشى أمامه « النوجا » الفرنسية وتحسدها عليه مدينة مونتلمار . . . يلي ذلك صفوف طويلة من « العرائس » تكاد تتشابك أذرعتها فتخالها في مجموعها كأنها في موكب !

عرائس جذابة ، عذارى من الحلوى ! أبكار توشك أن

تزف إلى عُرسها قد صبوها صباً من السكر المذاب ! وقد صبغوا لهن ... خدودهن الملغيرة بشيء من « الأحمر . . . » ، وكحلوا عيونهن بالكحل الشرق الساحر ، ثم ألبسوهن فساتين ساذجة لونت بألوان زاهية من أصباغ اليمن . وأما الشعر فقد رُصِّع بأنواع براقة من الخرز الفضي الملون ، وحجاب رقيق من الشاش المهلهل النسج زين أيضاً بفتائل من القصب الوهاج ، وأشرطة من الورق المذهب ، قد أسدل بلباقة وكياسة على رأسها ، ثم تدلى بعضه إلى الأمام ليحجب عنك أيها المحب الشغوف وجهها الحلو الباسم ، فلن ترى جمال تقاطيعه إلا حين تكشف عنه بيدك - يوم الزفاف !

« كم حدثتني نفسي فى هذه الساعة أن أحمل واحدة من هذه العرائس المصرية الصغيرة فأضمها إلى قلبي ، ثم أذهب بها هنالك ، فى ركن منعزل ، نائياً عن أعين الناس ، بعيداً عن كل ضوضاء ، وفى هدوء وراحة نفس ، أسبل عيني ثم أضع شفتي على شفتيها الحمراوين فأتذوق منهما شيئاً . . ! »

***

هكذا الشاعر يخلق من كل شيء جمالا

وبينما أنا أمر ليلة المولد بهذه « العرائس » تذكرت خيال هذا الشاعر فوقفت سابحاً فى أحلامى . . .

ولكن جدة تقتاد حفيدين لها قد دفعتني على غير قصد واقتحمت الزحام . وبعد مساومة ليست بالطويلة خرجت تحمل « سريراً » صغيراً زين بأستار هفهافة من القماش الملون بالأحمر والمذهب والمفضض ، وأبت الطفلة إلا أن تحمل « عروستها » بنفسها ، وأما الطفل فقد حمل حصاناً أحمر عليه فارس . . .

هذا الثالوث المزاحم قد أخرجني من حلم ليدخلني فى حلم آخر : الجدة تخور لأنها أنجزت تقليداً تعتبره مقدساً ، وهى مسرورة لأنها عاشت واشتركت فى ذكرى الرسول للمرة السبعين

أما الطفلة فأى سرور يملأ قلبها ! انظر إليها وهى تجذب جدتها من ملاءتها لتسرع الخطى . . . فهى تريد أن تصل إلى البيت أسرع ما يمكن لترى أمها عروستها الجميلة وسريرها البديع ، وهى تريد أن تقابل صويحباتها زكية وتفيدة وإحسان لتقنعهن بأن عروستها أكبر .. وأنها تملك سريراً ..

وقد بلغ الثلاثة البيت ؛ فالجدة متذمرة لأنها لم تجد الدكاكين مزدانة بالثريات والبيارق الحمر والخضر والصفر مثل « زمان » .. ومحمود الصغير اقتنع مسافة الطريق بأن حصانه لا يستحق الاحتفاظ به طويلاً . . وأنه لا يحقق له أملا واحداً من آماله : هل أستطيع أن أركبه وأضربه بالسوط ؟ .. إذن ... وبقضمة واحدة طير رأس الفارس بأسنانه ! ثم ابتدأ فى رأس الجواد . . .

أما فاطمة فعروستها ستحيا عندها طول حياتها ، لأنها صورة منها ، ولأنها تمثل أحلامها الحلوة ، فهى قطعة من نفسها !

انظر إليها الآن وقد عادت فرحة بعد أن قابلت صويحباتها ، انظر إليها وقد جلست فى انهماك ترتب السرير « لعروستها »

استمع إليها الآن وهى تغنى لها بصوتها العذب الحلو غير الفصيح أنشودة من أناشيد الزفاف !

انهض ياشاعرى العزيز وتعال مسرعاً ، ثم انصت فى جلال . تعال يا شاعرى « فههنا سحر وجمال ! »

م . هداية



# ١٧ – قصة المكروب
## كيف كشفه رجاله
### ترجمة الدكتور احمد زكي
وكيل كلية العلوم

---

## بستور Pasteur

### صلة حديثه

وأخذت حياة بستور تصير إلى غير ما عهد العلماء من حياة قابعة قاسية . وأصبح يجرى تجاريبه ليجيب بها على ما قام حول نظريته الجرثومية من اعتراضات كثيرة ، فكانت إجابات قوية مفحمة رنانة دوت أصداؤها في الجماهير ، لأنها أجريت لتنقع غلة الجماهير أكثر مما تنقع غلة العلم الهادئ والبحث الرزين . ولكن على الرغم من استدراجه العلم إلى الأسواق وسحبه إلى غمار العامة ، كانت تجاريبه رائعة الصنع محذوقة الاجراء ، وكانت كأقباس من نار مست خيالات الناس فألهبتها ، وآمالهم فأحيتها

وجلب على نفسه خصومة صخابة أقامها بينه وبين رجلين فرنسيين طبيعيين Naturalists يدعى أحدهما إفريمي Fremy والآخر إتريكل Trecul ، دارت حول الخمائر والطريقة التي بها تحيل عصير العنب خمرا . فأقر «إفريمي» بأن الخمائر لابد منها لهذه الاحالة ، ولكنه ادعى أن هذه الخمائر تنشأ من ذات نفسها في باطن العنب ، وقام في الأكاديمية يناقش هذه الدعوى في جهالة فسخر أعضاؤها منه وضحكوا جميعاً ، إلا بستور فكان من المحنقين

« إفريمي يقول إن هذه الخمائر تنشأ داخل العنب من ذات نفسها ! إذن فلأصنع له تجربة تقطع لسانه » . وأخذ بستور عدة قوارير مستديرة ، ووضع فيها شيئاً من عصير العنب ، ثم مط رقابها ولواها كأعناق الأوز ، ثم أغلاها دقائق وتركها أياماً ثم أسابيع ، فلم تظهر في للمصير فقاقيع ، ولم يعله رغاء ، ولم يختمر أصلا ؛ ثم ذهب إلى كرمة فقطف منها بضع عنبات بلغت النضج ولم تعده ، وغسل ظاهرها بماء نقي بقلم من الشعر عقمه بالتسخين قبلا ، وأخذ قطرات من ماء الغسول ونظرها تحت المجهر فوجد بها قليلا من كريات الخمائر المعهودة . وعندئذ أخذ عشراً من تلك القبابات الملتوية الأعناق ، وبمهارة فائقة لحم في جانبها أنبوبة مستقيمة طويلة ، ومن هذه الأنبوبة أسقط قطيرات من ماء الغسول ذى الخمائر . ولما جاء القبابات بعد أيام وجدها جميعاً مرغية إلى عنقها رغوة تضرب إلى الحمرة دليل اختمار طيب مرضى . وتبقى من ماء الغسول بقية ، فأغلاها وأسقط قطرات منها في عشر قبابات أخرى فلم يحدث فيها اختمار لأن الاغلاء قتل الخمائر

قال بستور : « الآن وقد أثبت أن الخمائر توجد على ظاهر العنب ، سأثبت لهذا الجاهل إفريمي بتجربة رائعة أن هذه الخمائر لا توجد في باطن العنب » ، وأخذ أنبوبة جوفاء رفيعة كان قد أسخنها في النار ليقتل ماقد يكون علق بها من أحياء ، ثم سد طرفها ، وكان رفيعاً حاداً ، فرفسه برفق إلى داخل عنبة خارقاً جلدها ، ثم كسر هذا الطرف داخل العنبة فاندفع بعض عصيرها في الأنبوبة ، وبمهارة ولباقة لا تبارى نقل هذا العصير إلى قبابة بها عصير عنب كان قد عقم بالتسخين . ورجع اليها بعد أيام فاوقع بصره عليها حتى صاح : « لاحياة لأفريمي بعد اليوم ، فعصير العنب بالقبابة لم يختمر ، وبطن العنب خلو من الخمائر » . ثم استطرد فنطق بقضية جامعة شاملة ؛ قال : « إن المكروبات لا تنشأ من ذات نفسها في بطون الأعناب وبدان الخز وأجسام الحيوانات الصحيحة ، وهي لا توجد في دم الحيوان ولا في بوله . فان هي وجدت في شيء من ذلك فانما دخلت اليه من الخارج » ولكأني بك تسمعه يتحدث إلى نفسه : « وستعلم الدنيا قريباً ماتؤدى اليه هذه التجربة البسيطة من إحداث معجزات بليغة »

— ٨ —

ولم يمض وقت طويل على هذا حتى ظهر أن أحلام بستور لم تكن أضغاثاً ، وأن ماخاله من امحاء الأمراض على ظهر الأرض لم يكن أملاً جامحاً . فجاءه كتاب من الجراح الاسكتلندى « لستر » Lister يذكر فيه إعجابه الشديد به وسروره الكثير بأعماله ، ويصف له فيه طريقة جديدة لفتح أجسام المرضى وإجراء العمليات الجراحية في نجوة من ذلك الوباء الخفي الذى اعتاد أن يذهب في المستشفيات بحياة ثمانية من كل عشرة من الرجال والنساء . كتب له لستر يقول : « فأنا أستميحك في أن أشكرك

شكراً خالصاً إذ هديتني بأبحاثك المجيدة إلى الحق في أمر هذه الجراثيم التي تسبب التعفن والفساد ، وأنرت لي السبيل إلى النظرية الوحيدة التي لا ينجح تعقيم إلا بها . وإذا أنت تحملت المشقة فزرتنا في أدنبره فسوف لا تأسف على هذه الزيارة إن شاء الله ، لأنك سترى بعينك في مستشفياتنا كثيراً من الخلق المساكين قد استفادوا استفادة كبرى من أعمالك »

ففرح بستور بهذا الخطاب فرح الطفل أنجز تركيبَ قاطرة فدار بها على إخوانه يريهم ما صنعت يداه . ولم يكتف بهذا بل نشر الكتاب بكل مديحه في المجلات العلمية ، وزاد فنشره في كتاب له عن البيرة ! ! ولم يشأ أن ينقضى هذا الحادث دون أن يلكُم إفريجي المسكين لكمة أخيرة ، وقد يحسب حاسبٌ أن تجارب بستور كان فيها لأفريجي لكمات مشبعات كافيات . ولم ينل من إفريجي نيلته الأخيرة بذمه ، وإنما نالها بمدح نفسه وتمجيد تجاربه والثناء على نظرياته . قال : « إن محك النظريات مقدار إثمارها وكمية نفعها » . وصمت إفريجي فلم يحر جواباً

وشغل حديث المكروب أوروبا كلها ، وعلم بستور أنه هو الذى وجه أنظار الناس إلى المكروب وإلى خطورته فلم يعودوا ينظرون اليه نظرتهم إلى اللُّعبة الغريبة المسلية ، بل عرفوا مقدار نفعه لبني الانسان واستيقنوا من ذلك ، وكانوا على وشك أن يعرفوا مقدار ضرره لبني الانسان كذلك ، وكيف أنه على صغره يعيث فيهم تلصصاً واغتيالاً . وأولت فرنسا بستور شرفاً كبيراً إذ نصّبته أولَ رعاياها . وشرفته الأمم — حتى بلاد الدنمارك أقام خمّاروها له التماثيل في معاملهم وأثنوا عليه خيراً

ومات فجأة « كلود برنار » Claud Bernard ، فقام أصدقاء هذا الرجل الكبير بنشر مؤلف له لم يبلغ تمامه ، وكان مؤلفاً في تخمر عصير العنب ، ختمه برنار بدحض نظرية بستور كلها وعزز دعواه بأسباب عدة ، وبلغ بستور الخبر فلم يصدق أذنيه . برنار يفعل هذه الفعلة ! برنار المعظم ، جليسه في الأكاديمية ومطريه ومطرى أعماله دائماً ! برنار الذى سارقه الضحكات وبادله الغمزات وناقله الفكاهات في أكاديمية الطب عن أولئك الأطباء ذوى الثياب الزرقاء ، والأزرار النحاسية الصفراء ، والأنوف الوارمة والرؤوس الجوفاء ، أولئك الأطباء الذين قاموا حجر عثرة في سبيل دخول التجربة الصحيحة إلى الطب والتطبيب !

وأخذ بستور يتمتم لنفسه : « ناقضني هؤلاء الأطباء الأغبياء ، وناهضني أولئك الطبيميون الحق ، وكان في هذا من السوء مافيه . ووازرني العلماء ، ومجّد أعمالي الكبراء ، فما بال برنار يأتي اليوم بالذى أتاه . . ؟ »

ذُهل بستور ، ولكن لم يطل به الذهول . وقام يطلب أصولَ المؤلَّف والأوراق ذاتها التي خطها برنار بيده ، فأعطوه إياها ، فقعد يجمع أشتات فكره لدراستها ، فوجد أن ماصنعه برنار لم يكن إلا مبادئٌ تجريبية ومحاولات تقريبية . وسرّه وأبهجه أن كشف أن أصدقاء برنار لم ينشروا ماكتبه بنصه كاملاً ، بل زادوا وحذفوا ، فأحكموا الحذف وحذّقوا الزيادة ، كيْ يستقيم الكتاب ويصحّ لدى القارئين . وذات يوم قام في الأكاديمية فمرّ أعضاءها ، وأساء الى رجالات فرنسا إذ أنحى باللوم اللاذع القبيح على أصدقاء برنار لهجّمهم بنشر كتاب يجرؤ على التشكك في نظرياته ، وإذ صرخ صرخات عنيفة مرذولة إلى برنار ، وبرنار في قبره لا يستطيع دفعاً عن نفسه ، وعقّب على هذا بنشر رسالة في نقد أبحاث صديقه القديم ، رسالة أعوزها الذوق السليم ، رسالة تتهم برنار — وهو رجل عالم من قمة رأسه إلى أخمصه — باتباعه الخرافة من كثرة صحبته للأدباء النابهين من أعضاء الأكاديمية ، ورسالة تحاول أن تثبت أن برنار في آخر أبحاثه تحكل بصره فلم يعد يرى الأشياء ، وتهزأ به فتقول احتمالاً إن بصره طال طولاً لم يَمُدْ معه يرى الخائر القريبة . وألحّ بستور في هذا النقد حتى ترك العامة تحسب أن برنار أصابه خرف الشيخوخة في آخر أيامه عندما كتب كتابه هذا . وفقد بستور الحسّ بالحسن والقبيح ، وفقد مقاييس اللياقات ، فأخذ في ثورته يدق بقدميه على قبر برنار دقات ثقيلة كادت تُقلق جثته تحت التراب

وأخيراً ثاب إلى رشده ، وسلك في رده على برنار السبيل التي يؤثرها كل عاقل على مقالة السوء ولغو الكلام . تلك سبيل التجربة . فأجرى تجارب غاية في الإبداع . وجرى على طريقة الأمريكيين إذاهم أرادوا بناء ناطحة من ناطحات سحابهم في ستة أيام . فهرع إلى مخازن البيع فاشترى قطعاً من الزجاج

عظيمة ، وهرع الى النجارين ، وطلب اليهم أن يصنعوا من هذا الزجاج بيوتاً كرابي النبات يَسهُل حملها ويُستطاع نقلها وتركيبها . وقام على أعوانه يستحثهم في انجاز قبابات وتجهيز مكرسكوبات وتعقيم لفافات من القطن ، فنسوا الطعام وعَزّهم النوم . وفي وقت بالغ القصر جمع كل هذه الأشياء وسافر بها الى بيته العتيق في جبال الجورا . ونفض يده في أثناء ذلك من كل عمل ، وأشاح بوجهه عن كل اعتبار ، واتجه بكل نفسه قُدُما الى اثبات أن نظريته في التخمّر نظرية صحيحة

وما بلغ بلدته أربوا حتى ذهب إلى كَرْمته ، ولم يُضع وقتاً سُدى ، فقام على بيوت الزجاج التي جاء بها فنصبها على بعض أعنابه فحجبتها عن الهواء الخارج حجباً محكما . وأخذ يفكر : « هذا الصيف قد تنصّف ، والعنب لا يزال فجّاً ، وأنا أعرف أن العنب في هذا الوقت لا يحمل على جلده خمائر أصلاً » . وأراد أن يزيد وثوقاً من ذلك ، فلفّ بعض العناقيد في بيوت الزجاج بلفافات القطن التي كان سخنها مساعدوه ليقتلوا ما عاق بها من الأحياء . وأسرع في العودة إلى باريس واصطبر بها على أحر من الجمر حتى ينضج العنب ، ونفد صبره يوماً فجاء أربوا وكله أمل أن يثبت أن برنار كان خاطئاً ، ولكنه وجد العنب لا يزال فجّاً فعاد خائباً . ونضج العنب أخيراً ، فأخذ يمتحن جلود العنب ببيوت الزجاج تحت المجهر ، فلم يجد عليها خميرة واحدة . وقام من على المجهر ثائراً ، فأخذ شيئاً من هذا العنب فعصره في قبابات أجاد تسخينها لتعقيمها ، وتركها فلم تظهر في عصيرها فقاعة للتخمّر واحدة . وعصر عنباً من كرمة خارج بيت الزجاج ، فهذا استحال عصيره الى خمر سريعاً . وما انتهى من هـذا حتى جمع بعض تلك العناقيد الطهور الخالصة من الخمائر ، واعتزم ليحملنها الى الأكادمية ويهدى كل عضو أحب عنقوداً ، ثم يتحداهم أجمعين أن يخرجوا من هذه العناقيد المصونة خمراً ... وقد أيقن أن هذا محال إلا إذا هم أدخلوا الخمائر اليها ... وأمّل من وراء كل هذا أن يثبت لهم أن برنار خانه الحظ في الذي قال ، وركبوا القطار الى باريس ، وظلت مدام بستور المسكينة في جلستها الطويلة مستقيمة الظهر تحمل أمامها عناقيد العنب حذر أن تسقط لفائف القطن عنها

وجاء موعد انعقاد الأكادمية ، فقام بستور يصف لرجالها كيف صان عنبه من الخمائر فلم تنلها . وصاح فيهم : « أليس عجيباً أن أرض كرمتي يوم بدأتُ تجاربي لم تكن بها حصوة إلا استطاعت أن تخمّر عصير العنب ! وما يصدق على كرمتي يصدق على كروم الدنيا الواسعة . ثم أليس عجيباً بعد هذا أن بيوت الزجاج التي نصبتّها خلت أرضها من الخمائر فلم تستطع لعصير العنب تخميرا ! ثم أتدرون لماذا ؟ لأني في الوقت المناسب حجبت هذه الأرض عن الهواء بتلك البيوت من الزجاج ! ... »

وخرج من هذا إلى نبوءات عجيبة ، إلا أنها على غرابتها قد تحققت اليوم . نبوءات كالوحى ، وخيالات كالشعر ، تجعلك تنسى خصومته القبيحة المرذولة التي أثارها على برنار . قال : « أفلا يجوز لنا بعد هذا أن نؤمن بيوم هو لا بد آتٍ يستطيع فيه الانسان أن يحمى نفسه من الوباء حماية أرض هذه الكرمة من خمائر الهواء » . وكانت الحمى الصفراء أصابت أرليانزة الجديدة New Orleans فتركت عامرها خراباً ، فقام يصوّر لهم تلك النازلة الفادحة تصوير فنان ماهر ، وصور لهم كذلك فعل الطاعون الأسود على شواطئ الفلجـا ، فلما روعهم وقشعر أجسامهم ، ضرب نغمة جديدة سرت فيهم بالرجاء

وفي هذه الأثناء ، في قرية صغيرة في شرق ألمانيا كان طبيب بروسى صغير السن ، مدوّر الرأس ، حرونٌ ، آخذ في ترسم الطريق الذي يؤدى به إلى نفس تلك النبوءات التي تنبأ بها بستور هذا الدكتور الشاب كان يسارق مرضاه الوقت ليفرغ لتجارب يجربها على الفئران ، وليستخرج طرائق في معالجة المكروب يتعرف بها شخصية كل نوع فلا تختلط عليه أجناسها ، وليأتى بأمر لم يستطع بستور اتيانه على رغم حذقه وعلوّ كعبه

والآن ، فلندع بستور الى حين ، ولنقف عند هذه المرحلة من حياته ، ولو أنها مرحلة ستأتى من بعدها تجارب قام بها بستور كانت من أروع ما قام به في حياته ، ومناقشات أثارها كانت من أفكه المناقشات ؛ لندع ذلك لنعرج إلى روبرت كوخ Robert Koch لنرى كيف غزا دولة المكروب وقد كانت وقفاً على بستور سنين طوالا

( يتبع )

أحمد زكي

# ٢٦ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

## فيدون او خلود الروح

ترجمة الاستاذ زكي نجيب محمود

ـ حدثني إذن ماهو الشيء الذي يجعل الجسم حياً بحلوله فيه ؟

فأجاب : هو الروح

ـ أهذه هي الحال دائماً ؟

فقال : نعم ، بالطبع

ـ إذن فمهما يكن ما تملكه الروح ، فانها إذ تأتيه تحمل إليه الحيـاة ؟

ـ نعم ، يقيناً

ـ وهل ثمت ضد للحياة ؟

فقال : نعم هناك

ـ وما هو ذاك ؟

ـ الموت

ـ إذن فلن تقبل الروح أبداً ، كما اعترفنا ، ضد ذلك الذي تسوقه . ثم قال : والآن ، بماذا سمينا ذلك المنصر الذي يقاوم الزوجي ؟

ـ الفردي

ـ والمنصر الذي يقاوم الموسيقيّ أو العادل ؟

فقال : غير الموسيقيّ وغير العادل

ـ وبماذا نسمى ذلك المنصر الذي لا يقبل الموت

فقال : الخالد

ـ وهل تقبل الروح الموت ؟

ـ كلا

ـ إذن فالروح خالدة ؟

فقال : نعم

ـ أيحق لنا القول بأن ذلك قد ثبت بالدليل ؟

فأجاب : نعم يا سقراط ، لقد ثبت بأدلة كثيرة

ـ وإذا فرضنا أن الفرديّ لا يخضع للفناء ، أليس يلزم أن ثلاثة غير قابلة للفناء ؟

ـ طبعاً

ـ وإذا كان الشيء البارد غير قابل للفناء ، ثم جاء العنصر الدافىء يهاجم الثلج ، أفلا ينبغي للثلج أن يتراجع متماسكا متجمداً لأنه عندئذ يستحيل عليه أن يفنى كما كان يستحيل عليه أن يبقى مع قبوله للحرارة ؟

فقال : حقاً

ـ وكذلك لو كان العنصر الذي لا يبعث البرودة ، أي الدافىء ، مستعصياً على الفناء ، لما فنيت النار وما انطفأت حين تغير عليها البرودة ، ولكنها تنأى بغير أن تتأثر ؟

فقال : يقيناً

ـ ويمكن أن يقال هذا القول نفسه عن الخالد : لو كان الخالد مستعصياً كذلك على الفناء ، لاستحال فناء الروح حين يهاجمها الموت ، إذ يدل البرهان السابق على أن الروح لن تكون قط ميتة ، فلن تقبل الموت أكثر مما تقبل ثلاثةٌ أو العددُ الفرديُّ الزوجيَّ ، أو النار ، أو الحرارة التي في النار ، البرودة ، ومع ذلك فرب أحد يقول : « ولكن على الرغم من أن الفردي لن يصير زوجياً حين يقترب الزوجيُّ منه ، فلماذا لا يجوز أن يفنى الفردي وأن يحل مكانه الزوجي ؟ » ونحن لا نستطيع أن نجيب من يتقدم بهذا الاعتراض بأن العنصر الفردي مستعص على الفناء لأن ذلك لم يعترف به بعد ، فلو قد اعترف بهذا لما أشكل علينا الزعم بأن العنصر الفردي والعدد ثلاثة يهمان بالرحيل حين يقترب الزوجي ، وهـذا البرهان بعينه كان يصح عن النار وعن الحرارة وعن أي شيء آخر

ـ جد صحيح

ـ ويجوز هذا القول نفسه عن الخالد : لوكان الخالد مستعصياً كذلك على الفناء ، إذن لكانت الروح مستعصية على الفناء كالخالد سواء بسواء ، فان لم يكن ، وجب أن يقام برهان آخر على استحالة فنائها

فقال : ليس بنا من حاجة إلى برهان آخر ، إذ لو كان الخالد ـ وهو سرمدي ـ عرضة للفناء ، للزم ألا يستحيل الفناء على شيء

فأجاب سقراط : نعم ، فكل الناس مسلمون بأن الفناء مستحيل على الله وعلى صورة الحياة الروحية وعلى الخالد بصفة عامة

قال : نعم ، كل الناس بذلك مسلمون – هذا صحيح ، وأكثر من هذا ، فهم مجمعون – إن لم أكن مخطئاً – على أن الآلهة كالناس في ذلك

– وإذن فما دمنا قد رأينا أن الخالد لا يناله التخريب ، أفلا يلزم أن تكون الروح مستعصية على الفناء كذلك – ما دامت خالدة ؟

– بكل تأكيد

– إذن فحين يهاجم الموت انساناً ، فقد يتعرض الجزء الفاني منه للموت ، أما الخالد فينأى عن طريق الموت حيث يحفظ مصوناً سليما ؟

– حقاً

إذن ياسيبيس فالروح خالدة بغير شك ، وهي مستعصية على الفناء ، وستحيا أرواحنا حقاً في عالم آخر !

فقال سيبيس : إني مقتنع ياسقراط ، وليس لدىّ بعد ذلك ما أعترض عليه . فان كان عند صديقي سمياس ، أو عند أحد سواه اعتراض آخر ، فيجمل به ألا يلتزم الصمت وأن يعلنه . اللهم إن كان لديه شيء يريد أن يدلي به ، أو كان يود لو أدلى به ، فلست أرى أن سيجود عليه الدهر بأنسب من هذه اللحظة ، حتى يجوز له أن يرجئ اليه الحديث

فأجاب سمياس : ولكن ليس عندي ما أقوله بعد ذلك ، بل لست أرى مجالاً للشك ، إلا ما ينشأ حتما عن ضخامة الموضوع وضعف الانسان ، فذلك مالم يسعني إلا أن أشعر به

فأجاب سقراط : نعم ياسمياس فقد أحسنت قولاً : أضف إلى ذلك أن المبادئ الأولى يجب أن تبسط للبحث الدقيق حتى وإن كانت تبدو يقيناً ، فاذا ما استوثقنا منها وثوقاً مرضياً ، استطعنا بعدئذ ، فيما أظن ، في شيء من الايمان المزعزع بالعقل البشري ، أن نتتبع مجرى البرهان ، فان ألفيناه واضحاً لم يكن بنا بعد ذلك حاجة لسؤال

فقال : ذلك صحيح

( يتبع ) زكي نجيب محمود

# أبو العباس أحمد المقّرى

١٠٤١ هـ — ١٦٣١ م

بقلم عبد الهادى الشرايبي

تتمة

هذا ولا نثني عنان القلم دون أن نشير إلى تلك القصة الشعرية الاستعراضية لحوادث الدهر وأيام الأول ، وهى طويلة نجتزىء منها ببعض فقرات يقول فى فاتحتها :

سبحان من قسم الحظو ... ظ فلا عتاب ولا ملامه
أعمى وأعشى ثم ذو ... بصر ، وزرقاء اليمامه
ومسدد ، أو جائر ... أو حائر يشكو ظُلامه
لولا استقامة من هدا ... ه لما تبينت العلامه

***

... فالعيش فى الدنيا الدنيـة غير مرجو الادامه
من أرضعته ثديها ... فى سرعة تبدى فطامه
من عز جانبه بها ... تنوى على الفور اهتضامه
وإذا نظرت فأين من ... منحته أو منحت مرامه
... أين الذين قلوبهم ... كانت بها ذات استهامه
أين الذين تفيئوا ... ظل السيادة والزعامه
أين الملوك ذوو الريا ... سة والسياسة والصرامه
... أم أين عنترة الشجا ... ع وذو الجدا كعب بن مامه
والزاعمون بجهلهم ... أن القبور صدى وهامه(١)
والمكثرون من المجو ... ن إذا شكا الفكر اغتمامه
أين الغريض ومعبد ... أو أشعب وأبو دلامه
أين الألى هاموا بسعـدى ... أو بُثينة أو أمامه
وبكوا لفرط جواهم ... والليل قد أرخى ظلامه
وتتبعوا آثار من ... عشقوا بنجد أو تهامه
وتعللوا ، والشوق يغـلب ، بالأراكة والبشامه

(١) يقول ذو الاصبع العدوانى :
ياعمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى ... أضربك حتى تقول الهامة اسقونى

... وسقاتها المتلاعبـون ... بلب من أعطوه جامه
من كل أهيف يزدرى ... بالغصن إن يهزز قوامه
ذى غرة لألاؤها ... يمحو عن النادى ظلامه
فالشمس فى أزراره ... والبدر فى يده قلامه
يصمى القلوب إذا رمى ... عن قوس حاجبه سهامه
ويروق حسنا ان رنا ... ويفوق(١) آراما برامه(٢)

ثم يشكو صروف الدهر وفجائعه بفخر الأدب « ذى الوزارتين لسان الدين بن الخطيب » :

راعت صروف الدهر دو ... لته ، وما راعت ذمامه
حتى ثوى إثر التوى ... فى حفرة نثرت عظامه(٣)
من زارها فى أرض « فا ... س » أذهبت شجوا منامه
إذ نبهته لكل شمـ ... ـل شتت الموت التئامه
هذا لسان الدين أسـ ... ـكته وأسكنه رجامه
ومحا عبـارته فمن ... حياه لم يردد سلامه
فكأنه ما أمسك الـ ... قلم المطاع ولا حسامه
وكأنه لم يملُ مت ... ن مطهم بارى النعامه
وكأنه لم يرق غا ... رب الاعتزاز ولا سنامه

***

... مذ فارق الدنيا وقو ... ض عن منازلها خيامه
أمسى بقبر مفرداً ... والترب قد جمعت عظامه
من بعـد تثنية الوزا ... رة ، جاده صوب الغمامه
لم يبق إلا ذكره ... كالزهر مفتر الكمامه

— ٤ —

وله فى الشعر المنثور رسائل بليغـة ، ومساجلات أدبية رائقة ؛ ويكفى أن نلقى نظرة على كتابه الحافل « نفح الطيب » الذى هو سجل لألوان الأدب الأندلسى ، وديوان لأخبارهم وطرائفهم ، والذى تدين له العروبة والتاريخ والأدب والفن بأكبر الفضل فى جمع أشتاتها ، ونظم متناثرها ، فخلد بعمله ذاك

(١) آرام : جمع ريم وهو الظبي
(٢) رامه : موضع بالبادية تكثر فيه الظباء
(٣) إذ بلغ من كيد أعدائه أن اقتحموا عليه السجن فخنقوه ثم وضعوه فى قبر وحرقوا جثته فصار طعاما للنار كما يقول عن نفسه متنبئا :
وكنا عظاما فصرنا عظاما ... وكنا نقوت فها نحن قوت

صوراً حية من الحضارة الأندلسية ، ومدنيـة العرب فى أوربا « من مطلع فجرها حتى مغرب شمسها » ! . . .

وإليك ما يقول فى وصف البحر حين نزوحه عن مسقط رأسه الى ديار الشرق والحجاز :

« . . . ثم جد بنا السير فى البر أياماً ، ونأينا عن الأوطان التى أطنبنا فى الحديث حيالها وهياما ، وكنا عن تفاعيل فضلها نياما ، الى أن ركبنا البحر ، وحللنا منه بين السحر والنحر ، وشاهدنا من أهواله ، وتنافى أحواله ، مالا يعبر عنه ، ولا يبلغ له كنه . فكم استقبلتنا أمواجه بوجوه بواسر ، وطارت الينا من شراعه عقبان كواسر ، قد أزعجتها أكف الرياح من وكرها ، كما نبهت اللجج من سكرها ، فلم تبق شيئاً من قوتها ومكرها ، فسمعنا للجبال صفيرا ، وللرياح دوياً عظيما وزفيرا ، وتيقنا أنا لا نجد من ذلك إلا فضل الله مجيرا ، وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه ، وأيسنا من الحياة لصوت تلك المواصف والمياه ، فلا حيا الله ذلك الهول المزعج ولا بياه ، والموج يصفق لسماع أصوات الرياح فيطرب بل ويضطرب ، فكأنه من كأس الجنون يشرب أو شرب ، فيبتعد أو يقترب ، وفرقه تلتطم وتصطفق ، وتختلف ولاتكاد تتفق ، فتخال الجو يأخذ بنواصيها ، ويجذبها أيديه من قواصيها ، حتى كاد سطح الأرض يكشف من خلالها ، وعنان السحب يختطف فى استقلالها ، وقد أشرفت النفوس على التلف من خوفها واعتلالها ، وأذنت الأحوال بعد انتظامها باختلالها ، وساءت الظنون ، وتراءت فى صورها المنون ، . . . ونحن قعود ، كدود على عود ، ما بين فرادى وأزواج ، وقد نبت بنا من القلق أمكنتنا ، وخرست من الفرق ألسنتنا ، وتوهمنا أنه ليس فى الوجود ، أغوار ولا نجود ، إلا السماء والماء ، وذلك السفين ، ومن فى قبر جوفه دفين ، مع ترقب هجوم العدو ، فى الرواح والغدو ، لاجتيازه على عدة من بلاد العدو . . لا سيما مالطة الملعونة ، التى يتحقق من خلص من معرتها أنه أمد بتأييد إلهى ومعونة . فقد اعترضت فى لهوات البحر الشامى شجا ، وقل من ركبه فأفلت من كيدها ونجا ، ... وتشتت أفكارنا فرقا ، وذبنا أسى وندما وفرقا ، إذ البحر وحده لا كمى يقارعه ، ولا قوى يصارعه ، ولا شكل يضارعه ؛ لا يؤمن على كل حال ، ولا يفرق بين عاطل وحال ، ولا بين أعزل وشاكى ، ومتباك وباكى ، فكيف وقد انضم اليه خوف العدو الغادر الخائن ، الى أن قضى الله بالنجاة وكل ما أراد فهو الكائن ... » الى أن يقول :

« فترى الأنفاس تنثر فى زفرة الأشواق ، والأجسام قد زرت عليها من التعب الأطواق ، وتساوى فى السير نهار مشرق ، وليل مقمر أوداج . . ثم وصلنا بعد خوض بحار ، يدهش فيها الفكر ويحار ، وجوب فياف مجاهل ، يضل فيها القطا عن المناهل ، الى « مصر » المحروسة فشفينا برؤيتها من الأوجاع ، وشاهدنا كثيراً من محاسنها التى تعجز عن وصفها القوافى والأسجاع ، وتمثلنا فى بدائعها التى لا تستوفيها ، بقول ابن ناهض فيها :

| | |
|---|---|
| شاطئ مصر جنة | ما مثلها فى بلد |
| لا سيما مذ زخرفت | بنيلها المطرد |
| وللرياح فوقه | سوابغ من زرد |
| مسرودة ما مسها | داودها بمبرد |
| سائلة ، وهو بها | يرعد عارى الجسد |
| والفلك كالأفلاك بين | حادر ومصعد |

— ٥ —

وبعد فلعل هذه الكلمة تكون حافزاً لأدباء العرب إلى دراسة هذا الأديب الكبير والاهتمام بآثاره القيمة ، وتوفيتها حقها من البحث والاستنتاج ، ومن هاتيك الخدمة إعادة طبع كتابيه الكبيرين « نفح الطيب » و « أزهار الرياض » فى شكل يلائم قيمتهما الأدبية والتاريخية مع مراجعتهما على الأصول وتتميم النقص الذى بهما

(فاس) عبد الهادى الشرايبى

# أجِــــدُّ وأمزَح

**اندفاعات**

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

أنا ما برحتُ ولا أرانى أبرح بين الضلالة والهدى أترجّح
طورا بإبليس الموسوس أقتدى طَرَباً وطوراً للإله أسبّح
إنى أرى أن السلامة فى التُّقى لو كان شيطانى بذلك يسمح
ابليسُ يُغوينى فإن لم يهدنى ربى فإن به مصابى يفدح
وإذا استقرت فى الحياة عقيدة يوماً فبالبرهان لا تتزحزح
فى الشكّ وخزٌ واليقين قناعةٌ فانظر لأىّ المسلكين ترجّح
لم أطمئن إلى الحياة فإنها عبءٌ وتحت العبء ناسٌ ترزح
تبكى اليتامى ثم إنى لا أرى لدموعهم مذروفةً مَن يمسح
سأل القطيع المالكيه راعياً فأجيب هالك الذئب فهو الأصلح
إن كان فى ذكر الحقيقة جهرةً قبحٌ فكتمان الحقيقة أقبح
مَن لى بصبح أهتدى فى ضوئه فالليل داج والكواكب جُنّح

* * *

ما كل أقوالى بناتُ عقيدتى إنى لفى شعرى أجد وأمزح
وإذا ذممتُ فلا أذمّ سوى الذى يأتى من الأفعال ما أستقبح
إنا بعهــد للعروبة حاجةٌ فيه لإصلاح وأين المُصلح
لم يكتب الله البقاء بأرضه إلاّ لمن هو للوغى يتسلّح
أما الطبيعة فهى خرساء إذا سألتها عن أمرها لا تفصح

* * *

مازال هذا الكون سراً غامضاً ولعلّ ما هو غامضٌ يتوضّح
إن الحياة روايةٌ قد أحسنوا تمثيلها والأرضُ نعم المسرح
دهرى تربّانى ودهرى هدّنى أأذمّ دهرى أم لدهرى أمدح
ذهب الشبابُ مخلّفاً اغلاطه ووددت لو أن المشيب يُصحّح
عمرٌ بمختلف الحوادث حافلٌ ولّى فما للنفس فيه مَطمح
قد ذقتُ حلوَ العيش فيه ومرّه وخلت يدى حيناً وكانت تطفح
كم بائس يطوى سجلّ حياته يأساً كما يتطوّح المتطوّح
وأرى الكآبة للسرور ذريعةً من لا يلاق غمّةً لا يفرح
قد كنتُ فى عهدٍ مضت أيّامهُ أمسى على ضوء كأنى أصْبِح
لم أمتدح عهد الشباب وطيبه حتى علتنى كبرةٌ لا تُمدَح
بقيت بنفسى فى الحياة لبانةٌ أدنو إليها وهى عنى تنزح

* * *

فى الصبح غرّدْ يا هزار فإنما قبل الصباح الوردُ لا يتفتّح
واشممه والثم ثغره قبل الضحى فالورد إن جاء الضحى يتصوّح
صاح الغراب على كراهة صوته فى الروض واختار الصُّموتَ الصيدح
ودّوا لو انى قد جنحتُ عن الهوى فى كبرتى لكننى لا أجنح
إن كنتُ شيخاً قد كبرتُ عن الصبى فالقلب لم يكبر وروحى تمرح
شُقّوا فؤادى وانزعوا منه الهوى ولعلّها عمليـــة لا تنجح
إنى بأوطانى التى أحببتُها بالشعر للآتى البعيد ألوّح
يا حبذا لو أن زوحى بعد ما تلقى المنيّةَ فى المجرّة تسبح

(بغداد) جميل صدقى الزهاوى

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

# ١١ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

## فريدريك نيتشه

للأستاذ خليل هنداوى

— ٢ —

وهنالك علاقته مع المرأة تبدى ناحية من نواحى نفسه ، فقد زعم أناس أن نيتشه كان يذهب مع المرأة مذهب معلمه « شوبنهاور » كاره المرأة ، ويستشهدون على ذلك بقوله : « أيها الذاهب إلى المرأة ! لا تنس عصاك وسوطك » ولكن هذا الحكم يسهل نقضه على المدقق فى تعاليم نيتشه ، فالمرأة التى طلبها نيتشه فى الصميم هى المرأة المترجلة التى تريد أن تزاحم الرجل فى عمله وجهاده واقتصاده ، أما غير هذه المرأة فهو مقدر لها محترم لفضلها ، مقدس لمعنى المرأة فيها ؛ ولقد كان له منهن صديقات وصاحبات فضليات ، وهو — وإن لم يتذوق من امرأة ذلك الهوى العاصف والحب اللاعج فقد تذوق عطفها الرقيق وعاطفتها الخالصة . وقد ذكرت شقيقته فى مذكراتها « ان أخاها كان يجهل الحب المادى . . . وإنما كان همه الشاغل له التفتيش عن الحقيقة » . على أن هذا الفيلسوف السئم « المنطوى على نفسه » الذى لم يستسلم للأهواء المصطخبة والميول الملتهبة ، قد تذوق فى أيام نكبته من عطف المرأة ما لم ينعم بمثله إلا قليل . . . فهو صاحب مثل أعلى فى الحب كما كان فى الصداقة

وهنالك نشأته المدرسية فقد دلت على طبعه « الارستقراطى » الذى ينفر من كل شىء مبتذل شائع ، ولا يميل إلا إلى كل جميل لامع ، وطبعه هذا هو الذى حمله على اعتزال رفاقه الذين يدرسون معه ، وذوقه هذا الجامح إلى محبة الأشكال الجميلة هفا به إلى عشق الجمال القديم وحب العبقرية الفرنسية الثائرة والحاضرة . ونفوره هذا من السوقة والعامة جمله ينفر من المسيحية ، ويصفها ويصف أصحابها ورسلها وصفاً قاسياً ، ويكره كل المبادىء التى تبشر بها الدعوقراطية والانسانية الاشتراكية . وكل تعاليمه الأخلاقية إنما تؤول إلى هذه الغاية : « هل هذه العاطفة شريفة أو غير شريفة ؟ » ولعل نيتشه كان يُمثّل نفسه الجبارة فى هذه الكلمة التى رددها « زرادشت » حين يقول : ( تسألوننى لماذا ؟ أنا لستُ ممن يُسألون حين يعملون لماذا ؟ ) وهذه صفة نفس لا تعتمد إلا على إرادتها ، تحتمل الألم وتصدمه ثم تهزمه ، وتقابل القدر وتعلن سيادتها عليه

### أطوار حياته

كان هوى نيتشه الراسخ فى صدره هو العثور على الحقيقة ، فلننظر أية طريق ركب اليها ، وما هى الدوافع التى هيمنت عليه ؟

كان نيتشه يمت بنسب قوى الى أسرة مغرقة فى دينها ، متشددة متعصبة ، مع ميل الى الدراسة العلمية ، قرن والده العلم الى الدين ؛ وما كان لنيتشه أن يبدل هذا السبيل الذى اختاره له والده واختارته طبيعته ، وقد عرفه أصدقاء حداثته مغالياً فى دينه وفى تقواه ، ولا عجب إذا أطلقوا عليه — وهو فى السادسة من عمره — اسم العابد الصغير ؛ حتى إذا ما أتم دراسته الأولى خرج الى الحياة وهو لا يزال يفكر فى ربه ، ولا يكفر بنعمته ، ولا يجحد وجوده . وما هى إلا أعوام كرت حتى أخذ يرتاب فى الدين اللاصق للعلم ، لأن ما فى الدين من إيمان لا يلائم فى رأيه ما فى العلم من حرية وانطلاق ! وهو عندما يعمل على درس الطبيعة والتاريخ متوخياً الحقيقة من وراء دراساته يجد فى عمله هذا ما يسمح له بأن يكون طليقاً حراً لا يسترقه شىء . ومنذ ذلك الحين بدأ يطمع فى الحقيقة العلمية التى يقتفى أثرها فكره الضائع دون أن يفقد الله الساكن فى أحناء صدره . ولكن ناشد الحقيقة العلمية لا يتسنى له أن يوفق زمناً طويلاً بين حقيقته المنشودة وبين إيمانه الموروث . فهما حقيقتان متضادتان ، إذا تلاءمتا فى أول الطريق فنزاعهما حقيق فى وسطه ، وإذا توافقتا فى وسطه فالخلاف ناشب فى منتهاه . وها هو ذا نيتشه يفصل الآن بين هاتين الحقيقتين ، ويكتب عام ١٨٦٢ تجربة فلسفية على القدر والتاريخ ، يحدثنا أنه قاس بعقله « أوقيانوس الأفكار الواسع » وهم بأن يجازف بنفسه فى بحر الشك ، ولكنه وجد أن مجازفة مثل روحه الضعيفة تجاربها ضرب من الجنون ، وهى لا تملك عدة ، ولا تحمل سلاحاً » ومنذ تلك اللحظة ألفى أن الديانة المسيحية مبنية على افتراضات وهمية . أما وجود الله والخلود والوحى فستبقى جميعها مسائل لا حل لها . ( إننى جربت أن أكفر بكل هذا ، وما أيسر الهدم ! ولكن الهدم يستلزم البناء ... على أن الهدم والتخريب هما أصعب مما تتمثله عقولنا ، فنحن فى الحقيقة لا نعيش لأنفسنا ولا نملك أنفسنا وقفاً علينا . فهناك أوهام الطفولة وأساطيرها تحتل مكاناً منا ، وهناك تعاليم الآباء والمعلمين تؤثر فينا ، وكلها

عوامل مترابطة متلاحمة لا يسهل على العقل أن يخترق سياجها ، ولا يمكن للمنطق أن يقوم اعوجاجها

إن قوة المادة المتوارثة ، وتسامينا الى الكمال ، وانفصالنا عن العالم الحالى ، وحل كل عقد المجتمع ، والشك فى حقائق الوجود ، كلها نوازع تتنازعنا وتملك علينا إرادتنا ، والنكبات المفجعة ، والتجارب المؤلمة ، هى التى تسوق قلوبنا الى الايمان الذى ولد مع طفولتنا ، وصاحب حداثتنا )

وبعد ثلاثة أعوام ألفينا « نيتشه » يخطو خطوته الأخيرة ، ويعلن أن الانسان بين حالين لا ثالث لهما : فهو إما أن ينتخب الايمان وما فى الايمان من هدوء ووقار واستقرار ، وإما أن يمشى على طريق محفوفة بالأخطار : هى طريق الباحثين عن الحقيقة ، الذين لا يتخذون الهدوء والسكينة مأرباً لهم ، وإنما يجدون مأربهم فى نشدان الحقيقة . يمشى الباحث منهم وحده مضطرب النفس قلق الضمير ، ممزق القلب ، نحو ضالته المقصودة ، نحو ما يتجلى له من حق وجمال وخير ، وهو إذا غادر طريق الباحثين ورضى لنفسه ذلك الهدوء فقد قتل البطولة فى نفسه ، وحكم على رجولته بالموت

انفصل « نيتشه » عن المسيحية التى كان يؤمن بها قبل عهد الانفصال إيمانه بشىء رمزى قائم على قواعد رمزية ، شأن الحقائق السامية تكون رموزاً لحقائق أسمى منها وأعلى . وظل يدرك خطر العمل الذى أقدم عليه ، ويتكلم فى كل فصوله « عن موت الاله » كأن موته — عنده — حادث عظيم فى تاريخ البشرية أو عمل نفذ اليوم أوله والأجيال الآتية ستتممه . ولكن « نيتشه » أعدم هذا الاله ليبعث إله الحقيقة . « هذا الاله (الأدبى) ، قد مات ليعيش الاله العلى » وهكذا حله حنينه الهاجع فى أحناء نفسه للدين إلى الايمان بإله الحقيقة . وعند ما وجد نفسه يتنازعها إلهان سلطانهما نافذ : الاله الذى ورثه ، والاله الذى لقيه ، رأى أن يضحى بالأول ويبقى على الثانى . وهذا الاله هو الذى يسيطر وحده على كل تعاليم نيتشه ومبادئه ، ولم يمش مع إلهه هذا كما يمشى أولئك مع آلهتهم مستسلمين قانعين بما نزل على قلوبهم من برد اليقين ، فهو يهب عاملاً على تحطيم كل عمارة مشيدة على الايمان بذلك الاله الأول ، وهو — الآن — لم يعد يؤمن بنظام الطبيعة ولا بجمالها ولا يميل إلى محاسنها ، ولم يعد يرى فى صفحات التاريخ ذلك القضاء الالهى والنظام السماوى اللذين يقودان الانسانية إلى مراميهما التى خلقت لها ، ولم يعد يستسلم لذلك القدر الذى يذهب بحياتنا ما يشاء ، ولا لتلك الارادة الالهية التى تود أن تهدينا إلى سبيل النجاة والسلام

بحث « نيتشه » جميع الأديان والشرائع منذ العصور الأولى والمذاهب التى نزلت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور . وبعد أن شكك فى هذه المذاهب وارتاب فى حقائقها وأغرق فى الانكار عاد إلى هذه الفكرة التى قالها جازماً ، وزعم أنه بهذه الفكرة حل مسألة الوجود : « ألا ان الآلهة جميعهم قد ماتوا ! والآن نريد أن يحيا الانسان الكامل : السوبرمان » ، وهكذا أضاع نيتشه إلهه ووجد نفسه

بحث الناقدون كثيراً فى فكرة نيتشه التى كانت تتطور وتتبدل تبعاً لما يحيط بحياته . وهو قبل بلوغه هذا المرفأ خاض بحاراً كثيرة وجاز شواطئ كثيرة . وقد أدرك بذاته تطور ذاته فشبه نفسه بالأفعى التى تنسلخ من جلدها أو النسر الذى ينسل ريشه . والحياة — عنده — ليست بواجب يلقى ولا بعمل يفرض ولا بوهم يحسب ، وإنما هى مادة شأنها شأن المواد التى تقع بين يدى الباحث . وكان ينظر نفسه كالمتنقل بدون انتهاء . همه النضال تهذبه انكساراته كما تهذبه انتصاراته ، أو كالقافز بين الصخور يكاد يذهب بنفسه ضحية على رؤوس الصخور الشاهقة . وهو — بلا كلل ولا فتور — يصعد من عال إلى أعلى ، ومن قمة إلى قمة ، مبدلاً كل لحظة أفقه ، عازماً على ألا يقف أبداً ولا ينثنى أبداً . رداؤه الشجاعة والصرامة ، لا يروعه البرد ولا تخيفه الهاوية . ولا يجزع من العزلة التى يتنفس فيها ريح الثلج المنهمر . . . هو دائماً فى صعود وارتقاء . وهكذا يعتقد نيتشه الذى فهم الحياة أنها تفوق بعضها على بعض ؛ يعتقد أن التطور لا غنى عنه ، ولا بد منه لأنه مادة ضرورية فى تحول الحياة . يعتقد نيتشه ذلك ودأب على أن يوفق بين حياته وإرادته مع هذا المثل الذى اعتقد به ، وقد كان توفيقاً كاملاً وكان تلاؤماً كاملاً ، وصارت مسألته فى الحياة هذه المسألة : « ما عسى يكون عندى معنى الحياة إذا لم يكن إله ؟ » ويجيب على هذه المسألة بهذه الكلمة : « إن اللاشخصية ليس لها قيمة على الأرض ولا فى السماء . إن الحب الأكبر هو جوهر ضرورى وجوده فى كل مسائل الوجود الكبرى . وهذا الحب وحده جدير بالأرواح القوية النشيطة ذات اليقين الراسخ . هنالك فرق كبير بين المفكر الذى يقابل مسائل الوجود بشخصيته ، يرى فيها قدره وفاقته كما يرى فيها سعادته ، وبين المفكر الذى يتوجه إليها مجرداً عن شخصيته ،



من أساطير الإغريق

# مجازفات هِرَقـــل

للأستاذ دريني خشبة

## ١ — الى غابة نيميا

كانت الغابة تثير الرعب فى قلوب الجن ، وكانت الظلمات تضرب فى أنحائها فتجعلها تيهاً يعج بالأفاعى ، ويضج بالتنانين

وكان ملكها الضرغامة يربض فى المغارة المفزعة ، المنشقة كالقبر فى أول الطريق المؤدى اليها ؛ وكان يخرج فى أول الليل فيصول فى القرى المجاورة ويجول ؛ وكان الأهلون التعساء يلقون من بطشه وشدة أذاه الشيء الكثير ؛ فلم يكن يبقى على دابة فى الأرض ، ولا إنسان فى الطريق . ينقض كالقضاء على فريسته فيجندلها ، ثم يحتملها إلى كهفه فيلتهم منها ، وينبذ الباقى لخدمه وعبيده الكثيرين من سائر السباع

ولم يكن كهذه الأسود الضئيلة التى يتحدث عنها السودان هذه الأيام ، بل كان أسداً فى جرم الفيل وقوته ، ورشاقة النمر وخفته ، وخباثة الثعلب وحيلته . . . يثور فينقدح الشرر من مقلتيه ، وتمور الأرض وتسجد الجبال بين يديه . وكانت له لبدة نسجتها له الآلهة من أشواك الجحيم ، وبطنتها بحمّى المنية !

وكان زئيره يقصف كالرعد فيزلزل شماف الجبل ؛ ويهز جوانب السماء ، ويهيج الجنون والفزع فى رؤوس الوحوش ، فترى إلى الغابة كأنها ترقص على فوهة بركان ! !

ولقى هرقل أصدقاءه فنصحوا له ألا يلقى هذا الأسد ، وأن يضنّ بشبابه . . . على أنيابه ؛ وعاء الحياة المتدفق فى بردتيه ، على جمر الغضى المتأجج فى حدقتيه . . .

ولكنه أبى !! وانطلق كالعاصفة إلى حيث يربض أبو أسامة ... وإنه لعلى خطوات من الكهف ، وإنه لينظر إلى السيف الذى كان إلى هذه اللحظة فى يمينه فلا يجده ! !

« أين ؟ أين سيفى ؟ . . . آه ! ها ها . . . لقد سرقته حيرا !! أرادت الخبيثة أن تجردنى من السلاح الذى أنازل به خصمى ! خاب فألك ياحيرا ! ! سأنازله بغير ما سلاح . . . سأحطمه . . . سأشد لسانه حتى أنتزعه من غلاصمه ... إلىّ ياسبع نيميا ... إلى يا ملاك الغابة وسيد وحوشها ... الساعة ساعتك ... لا مفر لك يا أبا لبدة ! .... ... ... »

وطفق هرقل يرعدكالمجنون ؛ وكان سبع نيميا نائماً فاستيقظ على هذه الصيحات الداويات ، ووثب وثبة هائلة كان بها أمام هرقل ، وجهاً لوجه ...

وبدأت الزوبعة ...

والتقى الجبل بالجبل ، وتصارع الجباران ساعة ، لا هذا ينال من ذاك ، ولا ذاك يصل إلى وطر من هذا ... وأقبلت وحوش الغابة تشهد المعركة وتتعجب ... وغضب أبو أسامة ، وهاله ألا يقوى على رجل بمفرده يكاد يصرعه ...

وتعب هرقل ... ونال منه الجهد ، ورأى أنْ لا بد من آلة ،

---

لا يعرف أن يلمسها إلا بفكره البارد الغريب . إن هذا المفكر لا يستطيع أن يلمس شيئاً . وهب أن مسائل الوجود قد أمكن لمسها فلن يُقدر للضفادع أن تلمسها ولا للدجاج المسترخية أن تحسها . .

ونيتشه وجد فى المسألة الكبرى شقاءه وسعادته . وقد ناضلها بدون ضعف ولا هوادة ، ونازلها جسداً لجسد دون أن ينفذ إلى قلبه الوهن . حتى إذا أصابه الجنون وقضى على شعوره أعلن نشيد الانتصار . أو ليس هذا بعد ذلك كله قدراً جيلاً بين الأقدار ؟

(يتبع) خليل هنداوى

فدار دورةً اقترب بها من شجرة باسقة ، فانتزعها ، وألقى بجذعها فى شدق الأسد ، ثم أسرع فقبض على لسانه العظيم فانتزعه ، وانقذف الدم يتدفق من هنا وهناك ... وتسيل به أودية الأرض ! !

وكأن نشوة الظفر قد ضاعفت قوة هرقل ، فقبض على فكي الأسد ، وشد على الرأس الكبير فتحطمت عظام المخ ، وخر ملك الغابة يتقلب فى لجة من دمه الغزير ! !

وهمهمت الوحوش مشدوهة !

لقد قتل ملكها ... فلا خوف عليها بعد اليوم ! ستكون حرةً طليقة ، تجيء وتروح ، وتقتات لنفسها غير منتظرة ما كان ينبذه لها أبو أسامة ! !

ونظر هرقل ، فرأى سيفه وراء ظهره ! !

لقد جادت به حيرا بعد إذ شهدت من جبروت البطل ما بهرها

وتناول السيف باسما ، ثم تقدم إلى الأسد فسلخ جلده الكبير ، وأبقى على اللبدة الهائلة ، وعاد أدراجه إلى يوريذوس ، ملتفعاً دثاره القريب الذى كان إلى لحظة قريبة يضم جثمان ملك الغابة وسيد وحوشها

## ٢ — مع الأفعوان الهائل « هيدرا »

ولقى صديقه يولوس ، وتحدث عما كان من أمره مع سبع نيميا ، فأخذه العجب ، ونذر ليصحبن هرقل فى جميع مجازفاته . ثم فصلا ، وما كادا يفعلان حتى قابلهما رسول الملك برسالة تأمر هرقل بالتوجه إلى مستنقعات ليرنا حيث الأفعوان الأرقم هيدرا : « ... فاذا لقيته ثمة فعليك به ، ولا تعودن إلا برأسه . فقد حدثنا من عرفه أنه لا يبقى على دابة ولا بهيمة ، ولا يعفى من القتل أحداً . . . ونحن أرفق برعايانا من أن ندعهم فرائس لهذا الأفعوان ... »

وانطلقا ، حتى إذا كانا عند المستنقعات المترامية ، شهد هرقل حيواناً ضخم الجثة فظيع المنظر ، يتقلب فوق صفحة الماء المغطاة بزهرات اللوتس وأوراقه العريضة النامية . وأيقن أنه هيدرا ، فتناول قوسه الكبيرة ، وأرسل إلى الوحش سهماً يهيجه به ، ليخرج من الماء ، وليأخذ معه فى نزال وقتال ...

وتم له ما أراد . وخرج هيدرا الفظيع يقلب رؤوسه السبعة . ويقلب فى كل فم لساناً طوله ذراعان ، وبرزت أنيابه تنفث سماً الزعاف ، وأرسلت العيون الصغيرة البراقة شررها ، وشرع الفحيح المرعب يصم أذنى هرقل وأذنى صاحبه

وبدأت المعركة ...

وامتشق هرقل سيفه الكبير المرهف ، وبضربةٍ قاضيةٍ أطاح رأساً من الرؤوس السبعة ...

ولكن . . . يا للعجب ! ! لقد نبتت فى لحظات قليلة ، فى مكان الرأس المقطوع ، رؤوسٌ سبعةٌ أخرى ، أخذت تنمو بسرعة فائقة ، حتى أوشكت أن تساوى الرؤوس الكبيرة فى حجمها . . .

وريع هرقل ، وهتف بصاحبه يولوس قائلاً : « أوقد النار يا صاح ، وأجج هذا الجذع فأكو به كل رأس يطيح . . . إننى أخشى أن ينبت لهيدرا ألف رأس ! »

ونفخ فى النار وأجج الجذع ؛ وأخذ كلما طاح رأس كوى مكانه بالنار

وحدث ما لم يكن فى الحسبان ... لقد أرسلت حيرا سرطاناً بحرياً يعض قدمى هرقل وهو يحارب هيدرا ، تود بذلك لو تشغله فيستطيع الأفعوان الظفر بخصمها العنيد ... ولكن هرقل تنبه للسرطان فوطئه ، وسحق عظامه سحقاً

هرقل يقتل هيدرا ( تصوير جيد )

وانتصر هرقل . . .

وطفق يغمس سهامه فى دم الأفعوان ليسممها ، حتى إذا أصابت رَميَّةً لم تُفلتها من الموت . وعاد إلى يوريذوس ثملاً بخمرة النصر

## ٣ — ظبى سيرينيا

وأسقط فى يد يوريذوس حين رأى هرقل يختال فى بردة السبع ويتيه ، وفى قبضته القوية رؤوس هيدرا هامدة خامدة

وكان فى مقاطعة سيرينيا ظبى له قرنان من ذهب ، وأيطلان

من نحاس ، وساقان من معدن ليس له فيما نعرف من المعادن من ضريب . وكان الملوك إذا أرادوا إعجاز أحد من الناس ليقتلوه ، كلفوه باقتفاء ظبي سيرينيا وامساكه ؛ فان لم يفعل ، وإن يستطيع أحد أن يفعل ، لشدة عَدْو هذا الظبي ، كان جزاؤه القتل . وقد أراد ملك أرجوس أن يُعجز هرقل هـذه المرة ، فأمره باقتفاء ظبي سيرينيا : « ... فان لم تعد الينا به ، فأنت أعلم بما ينتظرك من الموت الزؤام . . . . »

ولم يستطع هرقل أن يمسك الظبي ، لأنه كان يعدو كزوبعة ، فما تكاد حوافره تلمس الأرض إلا كما تلمس السماء كف سكران ، فلجأ إلى الحيلة ؛ واحتفر فى طريق الحيوان حفرة عميقة غطاها بوشائع رقيقة من الثلج ، وطارد الظبي حتى ألجأه إلى الحفرة ، ووقع فيها ، فنزل اليه واحتمله ، ومضى به إلى الملك الغاشم

٤ — خنزير أرمنثيا

ثم أمره بقتل خنزير برى مخرِّب ، كان يأوى إلى غابات أرمنثيا ، ويقطع الطريق على القبائل الرُّحَّل ، ويقتل كل من تحدثه نفسه بمحاربته أو الوقوف معه فى ميـدان . وكان ذلك الخنزير لا يبالى شيئاً فى الأرض أو فى السماء ، وكانت بينه وبين قبائل السنتور مودة فى الشر ، وتحالف على إيذاء الناس . فلما اشتبك هرقل وإياه فى نزال تشيب من هوله الولدان ، وشعر الخنزير أنه مقضىٌّ عليه لامحالة ، خار خواراً عالياً يستنجد حلفاءه السنتور ، ولـكنهم لم يصلوا إلى مكان المعركة إلا بعد أن أجهز هرقل على خنزيرهم المزيز ، فنشب قتال مروع بينهما ، وأخذ هرقل البطل يسـدد سهامه التى كان قد غمسها فى دم هيدرا ، إلى صدور أعدائه حتى كادوا يبيدون جميعاً . وأقبل شيرون — وهو كما علمنا مؤدب هرقل وأستاذه — ليحسم النزاع بين قبيله وبين تلميذه ، ولـكن وا أسفاه ! لقد أصابه هرقل بسهم مسموم فأرداه وهو لا يعرفه ! فلما أدرك أنه أسـتاذه ، أقبل عليه ، وعنى به ، وجمع من الأعشاب الطبية ما حسب أنه ينقذ أسـتاذه من براثن الموت ، ولـكن بلا جدوى ! ومات شـيرون ، وأهوى عليه هرقل يقبله ، وفى عينيه دموع المحبة والاعزاز

وتعاون هرقل ومن بقى من السنتور فدفنوا القتلى ، ثم أقاموا قبراً مشيداً دفنوا فى ثراه شيرون ، ومضى كلٌّ لطيَّته . .

٥ — زرائب أوجياس ملك اليس

كان الملك أوجياس ، ملك إليس ، يقتنى عدداً عظيما من الماشية والخيل والغنم ، تزدحم فى زرائب متجاورة مع آلاف من الخنازير مؤلفة . وكانت النظافة فى هذه الزرائب مهملة اهمالاً تاماً ، حتى لـكانت الروائح الخبيثة تنتشر منها فتصدم أنف عابر السبيل على فرسخ أو فرسخين ، وأنتن الروث فأحدث طاعوناً مروعاً أوشك أن يأتى على جميع الأهلين ، وقرر الأطباء أن لاسبيل إلى مقاومته إلا إذا عنى بتنظيف زرائب الملك . . .

وعلم يوريذوس بما شـغل بال صديقه ملك إليس ؛ فابتسم ابتسامة صفراء ، وقال لهرقل وهو يحدثه حديث السنتور : « إذن فعليك أن تتوجه إلى صـديقى أوجياس ، ملك إليس ، فتنظف زرائبه مما بها من خبث ، وتكون بذلك قد أديت خمساً من المسائل الاثنتى عشرة ، التى كتبتها عليك الآلهة »

وامتعض هرقل فى أعماقه ، وعبس عبوسـة كادت تنفجر بالسخط على هذا الملك الغبى ؛ ولـكنه ذكر نصيحة اربتيه ، فصدع بالأمر ، وذهب من فوره إلى إليس ، ليرى كيف ينظف زرائب الملك . . .

وثمة ، رأى مجرى عظيما من الماء ، يتدفق من الجبل الشاهق إلى عين الزرائب ، وينحدر انحداراً شديداً حتى ينتهى إلى البحر ؛ فبدا له أن يغير مجرى الماء ؛ بحيث ينصب فى الزرائب نفسها ، فيكتسح الروث ، وينجو الناس من هذا الرهق الشديد وأنقذ هرقل مدينة الملك وثروته وحياة الأهلين !

وحاول ملك إليس أن يستبقيه ليجزيه ، ولـكن هرقل أبى شاكراً ، وقصد إلى يوريذوس يتلقى أوامره

٦ — عجل مينوس

وكان نبتيون إلـه البحار قد أهدى عجلا جـداً لصديقه مينوس ملك كريد ، كى يقدمه قرباناً للآلهة فى العيد الأكبر الذى يحتفل فيه بميلاد نبتيون ؛ ولـكن العجل راق مينوس الملك فانتقى من عجوله أحسنها ، وضحَّى به مكان هذا العجل الآلـهى السَّمين ، واستبقى لنفسه هدية الآلـه

وغضب نبتيون ، وأقسم ليكونَنَّ هـذا العجل نقمةً على

من الأدب الإيطالي

# الليالى العشر
## IL DECAMERON
### ترجمة الأديب احمد الطاهر

٤

## قصة زوجة صبور
### جريزلدا

« النساء لا يقمن على العهد ، ولا يثبتن على الولاء » ذلك ما يقوله الرجال وما يعتقدون . ولكن هذه القصة التى سأذكر تنقض هذا الرأى وتدل على ولاء المرأة مع غلظة الرجل ، وثباتها مع جفوته ، وما أحسبكم إلا تشتهون سماع هذه القصة :

جالتيرى كان أميراً على دوقية سالوزو ، وكان من زعماء الرأى الظالم للمرأة ، لا يؤمن بوفائها ولا يثق باخلاصها . وحال هذا الرأى بينه وبين الزواج ، فصد عنه ، وانصرف إلى صيد الوحش واقتناص الطير ، يجد فى ذلك ملهاة ولذة وسلوة . ولكن رعية هذا الأمير كانت مشفقة على البلاد أن يموت أميرها وليس وراءه من يجلس على العرش ، وذهب مسعاهم فى حمله على الزواج أدراج الرياح ، واتخذوا له كل وسيلة فلم يزد إلا صداً ونفوراً

قال الملأ من قومه : « انا لنراك فى وحدة وسأم شديد ، وهذه أجمل فتياتنا نقدمها اليك راضين ، وانا لأمرك لمنتظرون »

قال : « لوكانت بى إلى الزواج رغبة لاخترت شريكتى فى الحياة بنفسى ، لا أكلفكم فى ذلك عناء ولا نصبا ، وهذه الفتاة التى تقدمون إلى مهما يكن من شأنها فى اصالة الحسب ، وعزة النسب — أرفضها مع احترامى لقدرها ، واجلالى لشرفها ؛ وانى لأحذركم عاقبة ما يقع بى من حسرة ، وما أجد من غضاضة إذا حملتمونى كرهاً على أن آتخذ زوجة لى لا أرضاها ولا أبغى السبيل إليها » . وانصرف القوم خائبين نادمين

خرج هذا الأمير يوماً يدور حول قصره ، فأبصر احدى راعيات الغنم : فتاة بهية الطلعة ، ساحرة الجمال ، وكانت تحمل فى جرتها ماء إلى منزل أبيها ، فسألها : « ما اسمك أيتها الفتاة ؟ » قالت : « جريزلدا » ، قال : « إننى يافتاتى أبحث عن زوجة تشاطرنى النعيم ، فهل إذا اتخذتك زوجة لى تعملين على هناءتى ولا تعصين لى أمراً بالغاً ما يبلغ من الشدة دون أن يكون فى صدرك حرج مما تؤمرين ؟ » . قالت الفتاة : « نعم يامولاى »

وأرسل الأمير إلى المدينة رسولاً فأحضر للفتاة من الثياب أغلاها ومن الحلل أبهاها ؛ وعقد على ناصيتها تاجاً من الزهر ، وأركبها جواداً وسار بها إلى قصره ، وأقام للزفاف ليلة كانت غرة فى جبين الدهر ، ودرة فى تاج الليالى

وسكن الأمير إلى زوجه الصالحة فوجد فى طبعها الهدوء والسكينة ، وفى شمائلها العذوبة والطمأنينة ، وألفاها رفيعة الحاشية كريمة الأخلاق حتى لقد رأى نفسه فى الدنيا أكثر الناس سعادة وأتمهم توفيقاً . ولم يكن الشعب أقل سروراً بهذا الزواج . فقد تجلى حبهم وولاؤهم للأميرة واكبارهم لأخلاقها وصفاتها ودانوا لها بالمحبة وعقدوا لها القلوب على الولاء

ومضت الأشهر ثم وضعت الأميرة . ولكن وضعتها أنثى !

وعادت إلى الأمير عقيدته العتيقة ، ولعبت برأسه الهواجس وركبه الشيطان فصد عن سواء السبيل وقال فى نفسه : « ما كان لهذه الفتاة أن تبغى عن سواء السبيل حولاً وهى فى نعمة سابغة

---

مينوس وقومه ، فسخر عليه طائفاً من الجنون ، فطفق العجل يخرِّب ويدمِّر ، ويقتِّل الناس تقتيلا . . .

وعلم يوريذوس بما كان من مصيبة صديقه ملك كريد فى عجله ، فلما قدم هرقل أرسله ليقتل العجل ، أو على الأقل ليقيده فيرتفع عن الناس أذاه . . .

وأبحر هرقل ، ولقيه مينوس فرحاً متهللاً ، وذهب من فوره لينازل العجل ، فكانت معممة وكانت حرب عوان !

لقد كان هرقل يحمل العجل فيرفعه ، فيخبط به الأرض فتندك ، ومع ذلك ما استطاع أن يقتله ! وأخيراً اكتفى بأن صفَّده بسلاسل وأغلال ، وعاد أدراجه إلى أرجوس ، وودعته كريد كلها

( لها بقية )

دريني خشبة

وهناء مقيم . فلو أنني أسأت إليها وبلوتها بشيء من الشدة والبأساء لبرزت طبيعتها الخبيثة وصدق رأيي في النساء »

واستدعاها إلى مجلسه . فلما مثلت بين يديه قال لها : « إن وضاعة أصلك وخســة منبتك كانتا سبباً لسخط الشعب واستيائه ، وزاد هــذا السخط أنك وضعت أنثى لا تصلح لأن أستخلفها على العرش »

قالت الأميرة : « مولاى ! إنى أعلم خسة منبتى وإننى أقل من أحط أوزاع الناس شأناً . وما هــذه المنزلة التي رفعتنى إليها إلا فضلٌ لا أستحقه ونعمة لم أكن أتسامى إلى التطلع إليها . فاتخذ معى فيما بينى وبينك من شأن ما يزكو بشرفك ويرضى نفسك غير آبه لاحساسى وشعورى ، فما أنا من المنزلة بحيث أشغل بال مولاى أو أستحق رعايته » وانصرفت الأميرة المبتئسة

وفيما هى مطرقة كاسفة البال إذ دخل عليها أحد وصفاء الأمير قال : « مولاتى : إننى بين أمرين أحلاهما مر : إما الموت ينزل بى لا راد له ولا دافع ، وإما أن آخــذ منك ابنتك » وما كاد يتم رسالته حتى أدركت الأميرة أن الملك قد ساقه البغى إلى الأمر بقتل ابنتها . فنهضت إلى مهد الطفلة البريئة وقبلتها قبلة الوداع ، وأسلمتها إلى الرسول فى رفق وأسى والتياع ، وفى العينين عبرات، وفى النفس حسرات ، ولـكن الأمير بعث بالطفلة إلى بولونيا أن كان له فيها أقرباء يقومون على تربيتها وتنشئتها

ومضت سنون والأميرة تحمل بين جنبيها فؤاداً كليماً ونفساً تنزى ألماً ، ولـكنها لا تظهر الأمير على ما تحمل ، ثم أدركت أنها أصبحت جفن سلاح [1] فتعزت ببعض العزاء ، ثم وضعت غلاماً وحسبت أن الأمير ستهدأ ثورته ، وتذهب عنه حدته ، وقد وضعت له ذكراً يرث العرش من بعده

ولـكنه استدعاها مرة أخرى ، وقال لها فى غلاظة وجفاء : « لقد أصبحت لا أطيق الصبر على ما ألق بسببك من مذلة ومهانة يصبهما علىَّ الشعب صباً . فلقد أثار سخطهم واتّـهم على أن رأوا هذا العرش الذى أجلس عليه وأحكم بسلطانه سيؤول بعدى إلى غلام ينتسب إلى رعاة الأغنام أهون الناس شأناً وأقلّهم مكاناً . ولقد تدبرت الأمر فلم أجد خيراً من أن أريح نفسى من هذا الغلام

كما أرحتها من أخته » واقتطع الغلام من قلب أمه كما اقتطعت أخته من قبله

قالت الأمــيرة : « مولاى ! لك الأمر وعلى الطاعة . ولا أحَبُّ إلىّ من أن تعمل مايشفى صدرك ، ويضع الهم عن نفسك ، ويحمل إليك السعادة بأوفى كيل ، فما أجد سعادتى إلا حيث تجدها ولا تطمئن نفسى إلا حيث ترضى ، وانـكفأت إلى مقصورتها وقد بضع الهم من فؤادها بَضعة

وبعث الأمير بالغلام إلى حيث كانت أخته

وشاع فى الملأ أن الطفلين قد قتلا ، واضطربت النفوس بالحقد على هذا الأمير الطاغى الذى غالى فى الضلالة ، وتبسط فى الاثم ، والعدوان ، وأفعمت القلوب حباً وعطفاً على هذه الأميرة المنكودة التى صبرت حتى ملها الصبر ، وبالغت فى الرضا بالذلة والهوان ، ووصل صدى النفوس والقلوب إلى سمع الأميرة فأنـكرت على الشعب أن يثور على مولاه ، ودافعت عن مسلكه ما وسعها الجهد ، على أن هذا كله لم يكن ليحمل الأمير على الثقة بولائها ووفائها

وأربت سنو العشرة بين الأمير وزوجه على الستة عشر عاماً وهى تصابر القضاء ، وتعانى البلاء . وبقدر ما أقامت على الصبر ، كان الأمير يمعن فى الغدر

ثم أراد أن يبلوها مرة أخرى :

قال لها : « أيتها المرأة : لقد عزمت على أن أتخذ لى زوجة غيرك ، وسأردك إلى أهلك الذين نشأت بينهم ، وإلى كوخك الذى درجت فيه ، لتعودى إلى ما كنت فيه من بؤس وفاقة . فما يزكو بمن كان فى مكانى من الشرف والعظمة أن تتسامى إلى الاقتران به فتاة وضيعة مثلك ، وإنى لواجد بين بنات الأشراف والنبلاء من تصلح لهذه المكانة العليا . »

قالت الأميرة وهى تـكظم الغيظ وتحبس الدمع : « سمعاً وطاعة يامولاى طبت نفساً ورضيت الطلاق مخرجاً »

ثم جاء الوصــفاء وجردوها من فاخر الثياب وسنى الحلل وألبسوها من الثياب ردعا [1] قدعاً وبعثوا بها إلى كوخ أبيها

وأعلن الأمير أنه سيبنى بابنة أحد النبلاء

ثم بعث إلى جريزلدا زوجه المشردة مَنْ قال لها : « إن الأمير

(١) حاملا

(١) مرقعاً

على عجز الزفاف إلى عروسه النبيلة الجديدة ، وهو فى حاجة إلى فتاة تمد له مقاصير الزفاف والاستقبال ، وتقوم على شؤون الوليمة والاحتفال . ولم يجد من هو أبصر منك بهذه الغاية وأقدر على هذا الشأن لسابق خبرتك بالقصر وما فيه ، وهو يأمرك أن تعودى إلى القصر كخادم تعمل بضعة أيام تقوم فيها بما يحتاج اليه الزفاف من دعوة المدعوات ، فاذا انتهيت من هذا الأمر تعودين إلى كوخ أبيك كما كنت فيه . »

هذه نصال تحز فى قلب الفتاة حزاً ، وتمزقه تمزيقاً ، وهى لا تستطيع للبلاء رداً ، ولا للأمر رفضاً . فسمعت وأطاعت وهى تكاد تنشق غيظاً وكمداً . ولم يكن هيناً عليها أن تنزل عن حب زوجها والوفاء له ، وقد هان عليها أن تنزل عن النعيم الذى كانت فيه ، والترف الذى تقلبت بين أعطافه وحواشيه

مضت إلى القصر فى خفة ونشاط وعليها ثيابها البالية ، وعملت مع الخدم فى تنظيف المقاصير وإعدادها ، ثم خلت إلى نفسها وأعدت الدعوات لسيدات البلاد ليشهدن العرس العظيم

وأقبل يوم الزفاف فاستقبلت المدعوات فى ثيابها الخشنة ، وابتسامتها الناعمة !

ثم مد سماط العشاء وأقبل الأمير وزوجه الجديدة وكانت بارعة الحسن رائعة الجمال . وأقبل عليها الناس رجالاً ونساءً يقدمون اليه وإلى الزوجة ولاءهم وطاعتهم وإعجابهم ، وطوعت لهم الزلفى أن يهنئوه على ما وفق اليه من استبدال زوجه الجديدة بزوجه القديمة

ثم نادى الأمير زوجه القديمة جريزلدا وقال لها فى غير خجل ولا رعاية لا حساسها : « ماذا تقولين فى زوجى الجديدة ؟ »

قالت : « مولاى ! إنى لأشعر لها بالحب من أعماق قلبى . وأرجو أن يكون نصيبها من رجحان العقل وسعة الادراك بقدر نصيبها من الجمال . إذاً تتم السعادة لمولاى الذى أتوسل اليه بكل عزيز لديه ألا يكسر قلبها ، وألا يثلم فؤادها ، ولا يقرح كبدها ، ولا يجرح عزتها ، كما كان يفعل بزوجه القديمة . فهذه يامولاى فتاة صغيرة نبتت فى أعطاف النعمة ، ودرجت فى حواشى العز والترف ، وأما أنا فقد تعودت منذ نشأتى شظف العيش وقسوة الدهر ونكد الحياة . »

قال الأمير وقد خلق الليلة خلقاً جديداً : « عفواً أيتها الفتاة وصفحاً جميلاً ، لقد بلوتك فى البأساء والضراء فما زادك بلائى إلا صبراً على البلاء ، واعتصاماً بالولاء ؛ ولقد كنت أحسب النساء لا يقمن على العهد ولا يدن بالصبر . وما صدفت عن هذا الرأى إلا بعد أن خبرتك فسلبتك سعادتك وهناءك : دعينى الليلة أرد اليك فى لحظة واحدة هذه السعادة التى حرمتك إياها مدى ستة عشر عاماً : هذه الفتاة التى أحببتها الليلة والتى يحسبها الناس جميعاً زوجى الجديدة هى ابنتك وابنتى التى انتزعتها منك منذ كانت فى المهد ، وهذا الواقف إلى جوارها هو ابننا الذى حرمتك اياه رضيعاً . أقبلى يازوجتى على ولديك وقبليهما ما وسعك الحب لهما . »

واستوت على الوجوه دهشة شادهة ، ووجوم يشبه البله ! ثم تقدم النساء إلى جريزلدا وقدنها إلى مقصورة فاخرة وألبسنها ثياباً لم يطل بينها وبينها العهد ، وجلسن يحدثنها فى إكبار لقدرها وإجلال لنفسها

وأقيمت فى القصر ليال غر ، وشمل الفرح والسرور كافة الشعب ، وطابت نفوس وقرت عيون

وبعث الأمير إلى والد جريزلدا وأتم نعمته عليه ، فاقطعه من القصر جناحاً يقيم فيه ، وعاش الأمير وزوجه الصبور ، ووالدها الطيب ، وولداه الطاهران فى سعادة ونعيم ، حتى فرق بينهم الدهر كما يفرق بين كل الأحياء . ؟

« عن الانجليزية » يوزباشى أحمد الطاهر

---

## استدراك خطأ وقع فى القصة السابقة

فى السطر ٢٣ من النهر الأيسر من صفحة ٩٩٤ من « الرسالة » بعد قوله « وقفل راجعاً إلى صديقه تيتوس » سقطت عبارة وهى : « وهمس فى أذنه : قم وابن بالفتاة فهى زوجك . وقع تيتوس فى حيرة . . . الخ » ثم يستقيم الكلام



## كتاب في تاريخ الإسلام: « فرسان الله »

أصدر الكاتبان الفرنسيان الأخوان جيروم وجان تارو كتاباً بعنوان « فرسان الله » Les Cavaliers d' Allah هو الجزء الأول من كتب ثلاثة يزمعان إصدارها تحت عنوان « ألف يوم ويوم في تاريخ الاسلام » ؛ وسيكون عنوان الجزء الثاني « حبوب الرمانة » ، والثالث « الشعاع الأخضر » . ويعني الكاتبان في هذه السلسلة بوصف أولئك الذين يسميانهم « فرسان الله » وهم المسلمون « أتباع محمد » ، أولئك الذين حملوا راية الاسلام « إلى بلاد الكفر النائية » ، وإلى « بحر الظلمات » (المحيط الأطلانطيق)

ويحتوي الجزء الأول « فرسان الله » على تاريخ موجز لمكة وقت أن ولد بها « محمد بن عبد الله » (صلعم) ، وموجز لتاريخ الدعوة الاسلامية والاسلام حتى قيام ملك الأدارسة بالمغرب الأقصى ؛ وقد أظهر الكاتبان على رغم هـذا الايجاز ، قوة في الوصف ، ولا سيما حين استعرضا الدولة الأموية ، ويتخذ هذا العرض صورة القصة . ولم يبرأ الكاتبان من ذلك التحامل الذي نراه ماثلاً في كل تاريخ غربي يكتب عن نبي الاسلام

وللمؤلفين عناية خاصة بوصف نفسية الشعوب المغلوبة ولا سيما البربر ، وكيف غلب عليهم « ذوق الوثنية » أحقاباً

## الأستاذ محمد عبد الله عنان

قرر مجلس الوزراء تعيين صديقنا الكاتب المؤرخ والصحفي البارع الأستاذ محمد عبد الله عنان للعمل في قلم المطبوعات بعد اقراره على النظام الجديد . واختيار الأستاذ لهذا المنصب توفيق من الله يضمن اطراد الاصلاح والنجاح في هذا القلم بعد أن أصبح اختصاصه يتناول الادارة والسياسة والصحافة والتاريخ . ويكاد الأستاذ عنان يكون بلغاته العربية والانجليزية والألمانية والفرنسية حركة متصلة للاطلاع والبحث والتأليف والتحرير ؛ فقد تخرج في مدرسة الحقوق الملكية سنة ١٩١٨ ، واشتغل بالمحاماة حيناً من الدهر ، ثم عالج منذ سنة ١٩٢٤ التحرير في الصحافة السياسية والأدبية ، وتوفر على دراسة التاريخ السياسي والمسائل الدولية ، وعكف في أثناء ذلك على فقه التاريخ الاسلامي في مصر واسبانيا ، فألف : ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى ؛ ومواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ، ومصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، وابن خلدون : حياته وتراثه الفكري ، وتاريخ العرب في اسبانيا ، وتاريخ الجمعيات السرية ، وتاريخ المؤامرات السياسية ؛ ذلك عدا المقالات القيمة والدراسات الممتعة في التاريخ والسياسة والأدب التي نشرها في (الرسالة) وفي غيرها من المجلات ؛ وكلها تنم عن صبر شديد ، وعقل سديد ، وفهم ذكي ، وثقافة شاملة . وإنا لنرجو أن يجد الأستاذ في عمله الجديد ما يساعده على المضي في خطته ، ومواصلة هذا الجهاد الخالص في نفع أمته

## عيد الأكاديمية الفرنسية

في يوم الاثنين ١٧ يونيه بدأ الاحتفال الرسمي الكبير بعيد الأكادمية الفرنسية الثلثمائة ؛ وهو العيد الذي تقرر احياؤه منذ شهر يناير الماضي ، واشتمدت الحكومة الفرنسية ، والأكادمية وجميع الهيئات العلمية والأدبية لاحيائه بما يليق به من العظمة والفخامة . وقد افتتح هـذا الاحتفال باقامة قداس رسمي في كنيسة نوتردام عن روح الكردينال ريشليو وزير لويس الثالث عشر ومؤسس هذه الهيئة الأدبية الخالدة ؛ ثم اقيمت في عصر ذلك اليوم حفلة رسمية شائقة حضرها رئيس الجمهورية ورجال الحكومة ، وأعضاء الأكادمية ، ومائتا مندوب يمثلون مختلف الهيئات والمجامع العلمية في أنحاء العالم ، (ومنهم رئيس مجمع اللغة العربية الملكي ممثلا له) ؛ وألقيت الخطب الرسمية المعتادة ؛ وأقيمت في الأيام التالية حفلات رسمية أخرى

وقد سبق أن أتينا على تاريخ تلك الهيئة الأدبية الشهيرة التي تضم دائماً أربعين من « الخالدين » صفوة ما تخرجه عبقرية فرنسا الأدبية؛ وبينا كيف نشأت متواضعة جداً منذ ثلثمائة عام في منزل سيد يدعى فالنتان كونراد كان من أمناء لويس الثالث عشر، وكان أديباً يجمع حوله عدة من الأصدقاء الأدباء والشعراء؛ وكان ذلك في سنة ١٦٢٩؛ ولبث أولئك السادة يجتمعون من آن لآخر مدى خمسة أعوام، ويتجاذبون في اجتماعهم شتى الحادثات الأدبية، حتى علم الكردينال ريشيلو بخبرهم؛ ففكر في اخضاع هذه الجماعة الأدبية لنفوذه، وفي أن ينظمها ويجعل منها «أكاديمية»؛ وانتهى الأمر بأن صدرت الأوامر الملكية بانشائها في يناير سنة ١٦٣٥، وصودق عليها من البرلمان في يوليو سنة ١٦٣٥

واستمرت « الأكاديمية » تنمو وتترعرع، وتجمع في سلكها أكابر النثر والشعر حتى كانت الثورة الفرنسية، فألغيت مع باقي الهيئات العلمية الأخرى في سنة ١٧٩٣؛ وانشئ مكانها « المجمع العلمي الوطني »؛ وفي سنة ١٨٠٣ قسم هذا المجمع إلى أربعة أقسام منها « الأكاديمية الفرنسية » التي استردت اسمها الأصلي بعد ذلك في عهد لويس الثامن عشر (سنة ١٨١٦)، وقامت الى جانبها « أكاديمية النقوش والآداب » و « أكاديمية العلوم » و « أكاديمية الفنون الجميلة ». وفي سنة ١٨٣٢ انشئت أكاديمية خامسة هي أكاديمية العلوم الأخلاقية

وهذه هي الفترة الوحيدة التي اعترضت حياة الأكاديمية الفرنسية؛ وما زالت الأكاديمية تقوم خلال هذه القرون الثلاثة بدورها التاريخي في الاشراف على الآداب الفرنسية، وإن كانت مهمتها الأصلية التي حددت في الأوامر الملكية أن تشرف على « تحسين اللغة وتوسيعها »؛ وما زال الظفر بالانخراط في سلكها أسمى ما يطمح اليه كاتب أو شاعر، وما زال الانتماء اليها عنوان « الخلود »

## ذكرى شومان أستاذ النقد الموسيقي

احتفلت الدوائر الفنية الألمانية في الثامن من يونيه الجاري بالذكرى الخامسة والعشرين بعد المائة لمولد الموسيقي الألماني الأشهر روبرت شومان؛ ونظمت لهذه المناسبة حفلات موسيقية عظيمة في أنحاء ألمانيا عزفت فيها قطع شومان؛ وأذاعت المحطات اللاسلكية مختارات موسيقية من آثاره في برلين وفينا. ويعرف شومان في عالم الموسيقى بأنه « روح الابتداع الموسيقي ». وكان مولد شومان في زفيكاو من أعمال سكسونيه. ودرس الحقوق أولا، ولكنه رغب عنها إلى دراسة الموسيقى. ودرس العزف (على البيانو) في ليبزج على يد فيكس وهو من أبرع أساتذة العصر؛ ولكنه أصيب باصابة في يده اضطرته إلى ترك العزف والاشتغال بالتأليف الموسيقي؛ ودرس هذا الفن على دورن أولاً. وفي سنة ١٨٤٣ عين أستاذاً في معهد ليبزج، ثم عين بعد ذلك قائداً موسيقياً في دوسلدورف سنة ١٨٥٠، واستمر في هذا المنصب نحو أربعة أعوام؛ وأنفق شومان معظم حياته يطوف المدن الألمانية مع زوجه كلارا .

وبدأ شومان حياته كمؤلف موسيقي في سنة ١٨٣٤ إذ بدأ تحرير (المجلة الموسيقية الجديدة) وكان ينشر فيها فصولا نقدية قوية تلفت الأنظار بحسن أسلوبها وقوة منطقها؛ وقد وصل شومان في هذه الناحية النقدية إلى ذروة البراعة حتى اعتبر أستاذ النقد الموسيقي. وكان شوبين وبراهمس وهما يومئذ من أعلام الموسيقى ينوهان بنبوغه وتفوقه في هذا المضمار؛ وأعظم آثاره في التأليف الموسيقي قطعه الخاصة بالعزف (البيانو) ومنها رباعيات ومقطوعات بديعة للقيثارة. وألف أيضاً قطعة أوبرا عنوانها (جينوفيفا)، وعدة أوبرات موسيقية

وكان لجهود شومان وطرائقه أثر كبير في تطور الموسيقى الألمانية المعاصرة. وقد كتب ترجمة حياته عدة من الكتاب والفنانين الأكابر، ومنهم باترسون ورنزمان. وخصص له فاسليفسكي ترجمة كبيرة وكذلك فولر ميثلاند وغيرهما

## تخليد ذكرى شاعرة فرنسية

وضعت بلدية مدينة نانت لوحة تذكارية باسم الشاعرة اليزا مركير التي توفيت منذ مائة عام في الخامسة والعشرين من عمرها، على المنزل الذي كانت تسكنه هذه الشاعرة الفنية التي بلغت رغم حداثتها في الشعر مرتبة كبيرة حتى كان لامرتين يقول عنها « إني أتوقع أن تمحونا هذه الصغيرة جميعاً »

## وفاة فكتور هوجو — صورة خبرية واقعية

ما زالت فرنسا تحتفل بالذكرى الخمسينية لوفاة شاعرها الأكبر فكتور هوجو حسبما ذكرنا فى فرصة سابقة ، وقد قرأنا أخيراً فى إحدى المجلات الفرنسية الكبرى بقلم مسيو « ارمان براقيل » وصفاً بديعاً للظروف التى أحاطت بوفاة الشاعر الكبير صيغت فى قالب رواية خبرية ، ونحن ننقله لقراء ( الرسالة ) فيما يلى :

باريس فى ٢٢ مايو سنة ١٨٨٥

اليوم فى الساعة الأولى والدقيقة السابعة والعشرين بعد الظهر توفى المسيو فكتور هوجو عضو الأكاديمية الفرنسية ، متأثراً بالالتهاب الرئوى الذى اشتد عليه منذ أيام وكان يثير فى نفس أسرته والمحيطين به انزعاجاً وقلقاً . وقد أشار الدكتور زى وزميله الدكتور فولبيان فى تقريرها هذا الصباح إلى أن « الحالة فى منتهى الخطورة » . وكان الشاعر الكبير فى الثالثة والثمانين من عمره

وقد أسلم الشاعر الروح يحيط به حفيداه جان وجورج ، ومسيو لوكروى ، ومسيو فكتوريان ساردو ، ومسيو اسكندر دعاس ، وبعض شخصيات أخرى . ويروى بعضهم أنه قال حين فاضت روحه : « وداعاً يا جان » ، وبعضهم يروى أنه قال : « ها هنا معركة النهار والليل » أو أنه قال : « ليس هذا هو النور ، ولكن ليس هو الظل أيضاً »

وعرض المونسنيور جيبر أسقف باريس أن يقوم بالرسوم القدسية الأخيرة للشاعر الأكبر ، ولكن أسرته اضطرت إلى الرفض عملاً بوصية فكتور هوجو نفسه ؛ إذ قال : « إننى أرفض رثاء كل الكنائس ، وأطلب صلاة لكل الأرواح »

ومنذ ١٩ مايو كان قد فقد كل أمل فى إعادة الصحة والحياة اليه ؛ وقد أصابه بالليل إغماء طويل ، وبالأمس بدأ النزع الأخير

وما ذاع النبأ المحزن حتى هرع الجمهور إلى منزل شارع إيلاو وما زال فى ازدياد مستمر ، وبدأت الزيارات الرسمية ، وكان أول القادمين مسيو بريسون رئيس الوزراء ، ولحق به مسيو فلوكيه رئيس مجلس النواب

وبعد بضع دقائق ألقى مسيو لى روابيه رئيس مجلس الشيوخ فى المجلس كلمة مؤثرة حين أعلن وفاة « شيخ » اليسرة المتطرفة وشاعر الجمهورية والديموقراطية الأكبر ؛ ولا ريب أن جميع السلطات الكبرى ستشترك فى تكريمه ؛ وقد طلب مجلس باريس البلدى أن تنقل رفات الشاعر إلى « البانتيون » ؛ ومن المحقق أن الجناز سيكون قومياً تحفه أعظم مظاهر الجلال ، وسوف يكون مناقضاً لرغبة الميت الذى أوصى بأن ينقل إلى مقره الأخير فى نعش الفقراء ؛ وهى الرغبة الوحيدة التى ستحترم

السبت ٢٣ مايو

حفلت كل الصحف بفصول مؤثرة تذيلها أعظم الأسماء ؛ وقد نشرت « الفيجارو » قصيدة لمسيو الكونت دى ليل عنوانها « التحية الأخيرة » ، وقد دهش لقراءتها الذين يعرفون خصومة الشاعرين ، وما تبادلاه قبل من قارص اللفظ ؛ بل يرى أن دى ليل قال حينما وقف على مرض هوجو : « لقد شرب المجد وأكله ، فعليه الآن أن يهضمه » ، فرثاؤه اليوم لا يمكن أن يعتبر بعد هذه الشماتة إلا بطاقة زيارة تودع عند باب الأكاديمية

وقد هرع عدد من الكتاب الشبان إلى سرير الميت ليسهروا إلى جانبه ، وبين هؤلاء حفيد الشاعر ، وليون دوديه ، وكاتيل مانديس ، وبول آرن ، وجان إيكار ، وأميل بليمون . وقدم مسيو ليوبولد هوجو فى منتصف الليل ليصور عمه فى فراش موته

٢٦ مايو

نشرت الجريدة الرسمية ما يأتى : « سيدفن جثمان فكتور هوجو فى البانتيون ، والبانتيون ليس بناء كنسياً ولا يتبع أية دائرة كنسية ، وإنما هو من أملاك الدولة ؛ وقد رأت الوزارة أن تحقق رغبة البرلمان فى هذا الشأن »

وسوف يحدث هذا المرسوم استياء فى الدوائر الكنسية التى مازالت تعتبر البانتيون من توابعها وأنه فى حرم كنيسة سانت جنفياف . وسيكون جناز شاعر البؤساء بلونه المدنى مقوياً لصفة البانتيون المدنية ؛ وسوف يثور هذا الجدل حول تابوت الشاعر

وما زالت صفوة فرنسا تنحنى أمام الميت العظيم ؛ وقد حنطت جثته بمنتهى العناية ؛ وما زال كل يعجب برأسه الشاحب الجميل الذى يكاد يضارع بياضه بياض لحيته

الجمعة ٣٠ مايو

وضع المسيو فكتور هوجو فى ناووسه ووضعت إلى جانبه باقة من الورد قدمها قلكيبيه وبعض تذكارات شخصية ، وقد قرر برنامج الجناز وخلاصته أن ينقل الجثمان فى نعش يوضع تحت قوس النصر ، ويترك هناك يوماً وليلة فى حراسة الشعراء ، والسلطات

المدنية والجيش وشعب باريس ، ثم يحمل في حفل ظافر الى البانتيون ، وستلقى بعض الخطب عند مبدأ سير الجناز وعند مقدمه

الأحد أول يونيه

منذ صبيحة الأمس بدأ حفل الشاعر النبيل مؤلف « سير الدهور » و « التأملات » ، وسار وراء تابوته إلى « الاتوال » عمد باريس المشرون ، والصحفيون ، والكتاب ، وكلهم بالثوب الرسمي والربطة البيضاء ، وحولهم من الجانبين جموع حاشدة لبثت تحيط طول الليل بمنزل الميت ؛ وكان قوس النصر قد جلل بغطاء أسود رهيب ، وحول الى محراب يحرسه حرس شرف من الجند والفرسان وطلبة المدارس ، والشعراء الشبان ، ولم ينقطع سيل الناس طوال اليوم ، يحملون الباقات والأزهار ؛ وهكذا ظهر أن فكتور هوجو مازال يغزو جميع الأرواح والقلوب

الاثنين ٢ يونيه

خصص يوم الأمس كله لظفر فكتور هوجو ؛ ولم يحتفل قبل قط بجناز شاعر بمثل هذا الجلال . ولعل كاتباً لم يمثل من قبل قط تطور عصره كما مثل ؛ فقد مثلت في شخصه الديموقراطية التي استطاعت أن تصل إلى الحكم بعد طول النضال ؛ وهو شاعرها ولسان حماستها الغنائية ، وهو يتنفس آمالها ومخاوفها في كتابه « البؤساء » ، ويتنفس غضبها وأحقادها في كتابه « العقوبات »

وكان الجو بديعا فاتراً ؛ وفي نحو الساعة التاسعة أتى الموظفون وممثلو مسيو جرافي رئيس الجمهورية ، ومجلس الوزراء بكامل هيئته ، وأعضاء الأكاديمية الفرنسية ، والجنرال سوسييه حاكم باريس وأركان حربه ، واجتمعت الوفود في شارع « الجيش الأكبر » وقد احتلوا شارع نبي بأكمله

وألقيت طائفة من الخطب منذ الساعة العاشرة ؛ منها خطاب لمسيو لى روييه باسم مجلس الشيوخ ، وفلوكيه باسم مجلس النواب ، وجوبليه وزير الداخلية باسم الحكومة ، وأميل أوجييه باسم الأكاديمية ؛ وكان أروع الخطباء جميعا ولاسيما حينما صاح بصوت قوي : « ليس هذا دفناً ، وإنما هو تقديس »

ثم تحرك الموكب بعد نشيد المارسلييز ، وعزفت موسيقى الجيش لحنا محزنا لشوبان

واليك ترتيب الموكب : سارت في الطليعة فرقة من الحرس الجمهوري ، ثم سرية من الفرسان ، ثم حاكم باريس وحاشيته ، ثم الموسيقى العسكرية ، فطلبة المدارس ، فاحدى عشرة عربة تحمل أكاليل الزهر ، ثم أربعة من عمال الكوميدي فرانسيز ، يحملون وسادة عليها أوسمة المتوفى ، ثم نعش المتوفى ، وهو نعش الفقراء ، وإلى جانبه أفراد أسرته وخاصة أصدقائه ، مثل جورج هوجو ، وأوجست فاكيري ، وليوبولد هوجو ، وبول فويت ، وكاميل بيلاتان ، والفونس دوديه ، واميل زولا وغيرهم ، ثم أعضاء المجمع العلمي في أثوابهم الخضر ، ثم أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب بشاراتهم المثلثة اللون ، ثم أساتذة الجامعة بأثوابهم الرسمية المختلفة ، وأعضاء جمعية الكتاب ، وسيل لا نهاية له من الوفود المختلفة

وكانت جوانب الطرق تغص بالجماهير الحاشدة ، وكانت النوافذ والأشجار والأسطحة حافلة بالنظارة

وبلغ الموكب البانتيون من شارع سوفلو في منتصف الساعة الثالثة ، وقد جلله السواد والأعلام القومية ، وهنالك ابتدأت الخطب الختامية ، فألقى منها إحدى عشرة ؛ وكان بين الخطباء مسيو أوديه باسم مدينة بزانصون مسقط رأس الشاعر ، ومسيو ماديه باسم المنفيين في يوم ٢ ديسمبر ، ومسيو جورد باسم نقابة الصحافة الباريسية ، وهنري دي بورنييه باسم كتاب المسرح وبعض الأجانب باسم بعض المعاهد العلمية الأجنبية

ثم عزفت الموسيقى لحن فكتور هوجو الذي وضعه مسيو سان سانس ، وعلى أنغامه أودع التابوت في مثواه الأخير إلى جانب توابيت فولتير وروسو وغيرهم من العظماء الخالدين

واستمر تعاقب الوفود حتى مغيب الشمس ، وانتهى فكتور هوجو إلى أن يرقد هادئاً في عالم الخلود